أوسكار والسيدة الوردية

إريك إيمانويل شميت

ترجمة

محمد صالح

فبراير 2007
الـــدار للنشر والتوزيـــع

اســـــم العمـــــل : أوسكار والسيدة الوردية

تـــــــــــــأليف : إريك إيمانويل شميت

ترجمـــــــــــــة : محمد صالح

تصـــميم الغـــلاف :

الطبعـــة الأولـــى : فبراير – 2007

الطباعـــــــــــة : **مطبعة آتيليه تاتش – المحروسة**

الناشـــــــــــر : **الدار للنشر والتوزيع**

تليفـــون – فـــاكس : 3531343 (202)

بريـــد إلكترونـــى : eddar_press@yahoo.com

www.geocities.com\eddar_press

المـــــدير العـــــام : محمـــد صـــلاح مـــراد

رقـــم الإيـــداع :

التـــرقيم الـــدولى :

مهداة إلى دانييل داريو

المقدمة

"تهت في صحراء الجزائر ذات مرة فاستلقيت على ظهري في ظلام الليل في انتظار الموت، فأتاني بدلاً منه الإيمان"

كانت تلك هي كلمات إريك إيمانويل شميت رداً على سؤال نجيب محفوظ عن سر النزعة الصوفية في رواياته، تماماً كما رأى أوسكار بطل رواية "أوسكار والسيدة الوردية" ربه يزوره حينما أتم التسعين عاماً.

جاءت كلمات إريك إيمانويل شميت صادقة معبرة عن لسان حاله هو شخصياً وهو يتعرف على المطلق ويعرفه للمرة الأولى دون وسطاء ودون جملة الطقوس المتعارف عليها في الديانات المختلفة، لقد "جاءه" الإيمان (و قد افتقدت تربيته أي جانب ديني لنشأته وسط أبوين ليبراليين غير مؤمنين) وملأ قلبه وجوارحه من كل مكان وبكل الأشكال وفي كل اللحظات، فأحس أنه جزء من هذا الكل ليخرج من تلك التجربة ويقص علينا تصوره عن العالم وعن الوجود من خلال شخصية شديدة الرقة "أوسكار" الذي يعلم ونعلم معه منذ بداية الرواية نهايتها، فلا يكمن جمال الرواية في حبكتها أو في تشابك أحداثها وشخوصها وإنما يكمن في جمال روح النص الذي يتهادى بخطوات رشيقة مرحة دون ابتذال ومتدرجة نحو عمق المضمون دون تعال أو تفلسف.

كانت تلك الطاقة النابعة من التناقض بين البساطة المفرطة في اللغة من ناحية وتعقيد وجدلية الموضوع محل المناقشة من ناحية أخرى هي الدافع الرئيسي لاستخدامي اللغة العامية، مع علمي أن ذلك سيولد جدلاً لا ينتهي حول شرعية استخدام العامية في الترجمة أو في الكتابة بصفة عامة، إلا أن تلك الصدمة التي تصيب القاريء وهو يقرأ على الورق ما يسمعه في حياته اليومية

هي بيت القصيد، وبعدما قمت بترجمة خطابين من باب التجربة تأكدت أن هذا تحديداً ما أراه في ذلك النص البديع الذي وقعت في حبائله منذ كلماته الأولى، هكذا بدى لي النص وقد قرأته مترجماً للروسية عن الفرنسية (و أود هنا الإشادة بالترجمة اللامعة للسيدة /إيرينا مياخكوفا رئيسة جمعية نقاد المسرح بجمهورية روسيا الإتحادية)، شديد البساطة والسذاجة والعفوية، وما عسانا أن ننتظر من طفل في العاشرة، لقد تجسد أوسكار أمامي وأنا أكتب خطاباته بالعامية فأضحى من المستحيل أن أتصوره مختلفاً، وأما عن الاختلاف الشديد بين ما نكتب وما نتكلم فهي قضية أخرى محل جدل وتحليل، فقط رأيت أن النص شديد الحميمية والرقة وأشفقت عليه من التفلسف والتحذلق والاستغراق في جمال اللغة بعيداً عن بساطة وعفوية تفكير الطفل.

كذلك فإن العامية تجعل لخطاب السيدة الوردية في نهاية الرواية وقعاً مهيباً يتفق وجلال الحدث، ويخلق ذلك التناقض بين العامية والفصحى حالة تكرس مأساوية قدر أوسكار، صدمة أخرى تماماً كالتي حدثت ونحن نقرأ الخطابات الأولى بالعامية، تتوازى مع صدمة الموت التي دائماً ما تفاجئنا حتى مع أننا نعلم تمام العلم بالنهاية الحتمية لا لأوسكار وحده ولكن لكل حي على الأرض، وذلك تحديداً كان مسار مناقشات أوسكار مع السيدة الوردية.

لذلك أستميحك عذراً سيدي القارئ فأنا بصدد أن أخلع قبعتي وملابسي الأنيقة لألبس أبسط ملابسي وأتحدث بأبسط كلماتي عن أدق وأرق أفكار مشاعر قرأتها للكاتب إريك إيمانويل شميت ووجدت أنني مطالب بنقل تلك الأفكار والمشاعر إليك.

أوسكار والسيدة الوردية

عزيزي ربنا:

أنا إسمي أوسكار، عندي 10 سنين،ولّعت في الكلب والقطة والبيت (و اتهيألي، إن السمك الذهبي اللي كان جوه البيت هوه كمان اتشوى من النار)، وباكتب لك لأول مرة، علشان قبل كده ما كانش عندي وقت – المدرسة بقى وانت فاهم.

من الأول أحب أقولك إن أنا ما باطيقش الكتابة. باكتب بس لو ضغطوا عليّ! أصل أنا ما باطيقش لا الكسرة ولا الفتحة ولا الضمة.ما باطيقش الابتسامات الصفراء والكذب. الكتابة – دي حاجة بتاعة الكبار.

وعلشان أثبت لك اللي باقوله خد عندك مثلاً بداية الجواب بتاعي:" انا إسمي أوسكار، عندي 10 سنين،ولّعت في الكلب والقطة والبيت (و اتهيألي، إن السمك الذهبي هوه كمان اتشوى من النار)، وباكتب لك لأول مرة، علشان قبل كده ما كانش عندي وقت – علشان المدرسة."...كان ممكن أكتب لك :"الناس بتسميني يا أقرع، شكلي زي ما يكون عندي 7 سنين، عايش في المستشفى، علشان عندي سرطان، وما كنتش باكتب لك قبل كده لأني ماكنتش أعرف إنك موجود"

لو كنت كتبت زي ما ورّيتك دلوقت، كنت هتاخد عني فكرة وحشة وما كنتش هتاخد بالك مني وأنا الحقيقة محتاج إنك تاخد بالك مني.

و يا ريت لو عندك وقت تعمل لي خدمتين تلاتة.

هاشرح لك.

المستشفى اللي انا فيها مكان جميل.كل اللي حواليّا كبار، ومبسوطين وبيتكلموا بصوت عالي، فيه لِعَب كتير، ودادات وردية اللي همه بيلعبوا مع الأطفال اللي قدّي زي إينشتين وفشار وبسطرمة.

باختصار، اللي عيان وعايش هنا في المستشفى ممكن يرتاح آخر راحة.

بس أنا بقى الحقيقة ما بقيتش قادر أرتاح، بعد عملية زرع النخاع مابقيتش قادر استمتع بأي حاجة.كل لما الدكتور دوسلدورف بييجي يبص عليا الصبح وما بيعرفش يسمع النبض بيزعل مني قوي.بيبص عليا زي ما اكون أنا اللي غلطان. مع إني حاولت على قد ما أقدر إني أكون كويس في العملية وسبتهم ينيّموني بهدوء وخدت كل الدوا اللي قالوا لي عليه وما صرختش حتى لما كنت باتوجع. أحياناً بابقى عاوز أزعق فيه إن ممكن يكون هوه السبب بحواجبه السودا التقيلة ، هوه اللي ممكن يكون السبب في كل اللّي أنا فيه ...بس شكله الحقيقة بيصعب عليّ ، والزعيق بيتحشر في زوري.و كل ما بيسكت الدكتور دوسلدورف أكتر، كل ما باحس بالذنب أكتر.دلوقت بس فهمت إنّي عيان وحش لأني مش قادر أساعدهم على إثبات إن الطب ده حاجة عظيمة.

و الظاهر إن أفكار الدكاترة معدية، ودلوقت كل الممرضات والمساعدين والدادات بيبصوا عليا زيّ الدكتور دوسلدورف. شكلهم بقى يصعب على الكافر حتى لو أنا مبسوط، بيحاولوا

يضحكوا بصعوبة لماّ باضحّكهم.بس بيني وبينك خلاص دلوقت ماحدش بقى بيهزّر زي زمان.

الوحيدة اللي ما اتغيرتش هي ماما الوردية، اتهيألي انها عجوزة جداً على إنها تتغير وكمان أصلها وردية أكتر من اللازم. انا ما باعرفكش عليها يا ربّنا لأن انت وهي على حسب ما فهمت معارف قدام، لأن هي اللي قالت لي أكتب لك.على فكرة أنا الوحيد هنا اللي باسمّيها ماما الوردية، وانت بقى اللي لازم تعرف أنا باتكلم عن مين...و علشان أساعدك : هي أقدم واحدة في الدادات الوردية – الدادات اللي بتيجي تقعد مع الأطفال العيانين–:

- إنت تمّيت كام سنة يا ماما؟
- تقدر تفتكر رقم من 13 خانة يا أوسكار؟
- انت بتهزري؟
- لأ، مش لازم أقولك لأن لو أي حد هنا عرف سني الحقيقي هيطردوني ومش حنشوف بعض تاني.
- ليه؟
- لأني موجودة هنا بشكل غير قانوني، فيه حد لسن الدادات الوردية والحد ده أنا أنا عديته من زمان.
- يعني الصلاحية بتاعتك انتهت؟
- أيوه
- زي الزبادي؟
- شششششش....
- طيب خلاص مش حاقول لحد!

و بالطريقة دي ماما الوردية قالت لي علـــى الســـر الفظيـــع بتاعها، وهي طبعاً واثقة فيّ إن أنا مش حاقول لحد، بس اللي أنا مش قادر أفهمه هو إزاي حد ما يقدرش يشوف سنها الحقيقي مع كل الكرمشة اللي واضحة حوالين عينيها!

مرة تانية عرفت سر تاني من أسرارها – ممكن يساعدك يا ربنا في انك تعرف مامتي الوردية من بين الدادات الوردية– مرة يا سيدي كنا بنتمشى في جنينة المستشفى ورجليها وقعت في ميـــة مش نضيفة فلقيتها راحت قايلة كلمة قبيحة

- يلعن أبو...أوحاجة زيّ كده.
- هيهيهي.. مش الكلام ده برضه عيب يا ماما.
- مالكش انت دعوة يا حبيبي، أنا أقول اللي انا عاوزاه.
- هممممم...
- واتحرّك بسرعة شوية، احنا خارجين نشم هوا ونتحـــرك مش خارجين نمشي على قشر بيض.

و لما قعدنا على البينش ناكل بونبوني سألتها:

- إزاي بتقولي ألفاظ زيّ كده يا ماما؟
- الشيء لزوم الشيء يا أوسكار، الشـــغلانة اللـــي كنـــت باشتغلها ما كانش ينفع أكون فيها مؤدّبة طول الوقت، ما كنتش هأعرف أعيش.
- شغلانة إيه؟
- مش هاتصدقني...
- أحلف لك حاصدقك
- المصارعة الحرة الأمريكاني

- معقولة؟!!!

- أيوه أنا كنت مصارعة، وحتى كانوا بيسموني مشـــرحة لاجيدوك

لما كانت بتجيني أوقات دماغي تودّي وتجيـــب فـــي أفكـــار وحشة وماما الوردية كانت عارفة ان ماحـــدش ســـامعنا كانـــت بتحكي لي عن الماتشات المهمة بتاعتها، يعني مثلاً الماتش اللـــي بينها وبين ليموزين اللانشون أو عن التحدي اللي قعـــد عشـــرين سنة بينها وبين الشيطانة سينكلير الهولندية اللي كان عندها مدافع رشاشة بدل صدرها وبالذات كانت بتحكي لي عن كاس العالم لما كان الماتش بينها وبين "أولا أولا" اللـــي كـــانوا بيســـموها كلبـــة بوخينفالد واللي ماحدش قدر عليها قبل كده، حتى "أفخاد الصـــلب" اللي هي كانت المثل الأعلى لماما الوردية لما كانـــت مصـــارعة برضه ما قدرتش عليها. كنت بـــاحلم بالماتشـــات دي وباتخيـــل صاحبتي ماما الوردية المسلوعة العجوزة اللي لابسة روب وردي بايديها اللي بتترعش وهي في وسط الحكايـــات دي بتوقـــع فـــي المصارعة واحدة ورا الثانية من المصارعات اللي لابسة فـــنلات رياضية وعاملة مجانص.كنت باتخيل نفسي مكانها وباحس اننـــا وراي رجالة.

باختصار...لو بعد كل الحكايات اللي أنا حكيتها لك دي يـــا ربنا ما قدرتش تطلع مامتي الوردية من وسط بقية الدادات يبقـــى لازم تطلع معاش، ويبقى انت مش قادر تملأ المكان اللـــي انـــت قاعد فيه. اتهيألي أنا كنت واضح بما فيه الكفاية.

نرجع بقى لموضوعنا الأساسي:

مرة تانية عاوز أقول لك ان زراعة النخاع بتـــاعي زعّلـــت الناس منّي، الكيميا ما كانتش باسطاهم وكان عنـــدهم أمـــل فـــي زراعة النخاع وللحظة بان إن فيه أمل... دلوقت عندي إحســـاس

أنه الدكاترة ما بقاش عندها حاجة تانية تقدر عليها مع إنّي باصعب عليهم. الدكتور دوسلدورف – اللي ماما بتقول انه دكتور حليوة مع ان انا شايف ان حواجبه تقيلة زيادة عن اللزوم– شكله بقى مهموم وعامل زي ما يكون بابا نويل والهدايا اللي معاه خلصت وما كفتش كل الأطفال...الجو بقى مكهرب.

كنت باتكلم مع صاحبي "بسطرمة" – هوه في الحقيقة اسمه إيف بس احنا بنقول عليه بسطرمة لأن شكله قريّب من البسطرمة أكتر من أي حاجة تانية–:

- أنا شايف يا بسطرمة ان الدكاترة ما بقتش بتحبني، أنا بابوظ لهم مزاجهم
- انت بتقول ايه يا أقرع، الدكاترة دول يا بني ما فيش حاجة بتأثر فيهم، أهم حاجة في حياتهم انهم يعملوا عمليات لأي حد في أي حتة على قد ما ربنا يقدرهم، ده الدكتور بتاعي كان عاوز يعمل لي 6 عمليات.
- يمكن شكلك مغري
- الظاهر كده
- طب ليه ما بيقولوا ليش بصراحة ان انا قربت أموت وخلاص؟

و في اللحظة دي بسطرمة عمل زيّ كل الناس في المستشفى: اتطرش!

كل ما الناس فى المستشفى تسمع كلمة "موت" ، تبطل تسمعك. تأكد ان الشخص اللي بيسمعك في اللحظة دي بتطلع في ودانه سدادات هواء وتبص تلاقيه فجأة راح مغير الموضوع، أنا جرّبت القصة دي مع كل الناس هنا إلا ماما الورديـة...يومها

الصبح كنت عاوز أجرب إذا كانت هي كمان سمعها هيتقل بعد السؤال بتاعي:

- ماما، اتهيأ لي ماحدش عاوز يقول لي ان انا هاموت قريب.

بصت لي... ياترى ردّ فعلك هايبقى زي الباقيين؟ بلاش أرجوك يا مشرحة لاجيدوك اسمعيني وبلاش تتطرشي!

- و إيه لازمة انهم يقولوا لك يا أوسكار طالما انت عارف كده لوحدك؟

اوبا!! سمعت!

- ماما، أظن انهم بيخترعوا مستشفى تانية غير اللي موجودة في الحقيقة. بيعملوا زي ما يكون الناس بتدخل المستشفى بس علشان تخف، مع ان فيه ناس بتدخل المستشفى علشان تموت.

- عندك حق يا أوسكار، بس ده مش في المستشفى بس، الناس في الدنيا هي كمان بتنسى إن الحياة زايلة وهشة وهتنتهي وعايشين كأنها مالهاش نهاية.

- العملية اللي عملوها لي ما نجحتش، مش كده؟

ماما الوردية ما ردتش عليّا ودي كانت طريقتها بدل ما تقول "أيوة"، ولما اتأكدت ان أنا فهمت وطت عليّا وسألتني:

- بس أنا ما قولتلكش حاجة؟ مش كده؟ هه؟!!!

- ولا أي حاجة...عيب

سكتنا شوية على ما هضمنا المعلومات الجديدة دي

- ايه رأيك يا أوسكار لو تكتب لربنا؟

- حتى انت كمان يا ماما، انت آخر واحدة كنت أفكر انهـــا ممكن تضحك عليّ!

- أضحك عليك في ايه؟

- يعني ما كنتش فاكر انه انت كمان بتكذبي زي بقية الناس

- أنا ما باكدبش

- امال بتضحكي عليّ ليه في موضوع ربنا ده؟ انـــا مـــرة ضحكوا عليّ في قصة بابا نويل دي وكفاية !

- أوسكار! ربنا وبابا نويل حاجتين مختلفتين تماماً

- نفس الحاجة، حاجات بيضّحك بيها على الناس وخلاص

- يعني انت تتوقع ان مصارعة قديمة زيـــي كســـبت 160 ماتش من أصل 160 منهم 43 بالضربة القاضية ،تصدق أنه أنا مشرحة لاجيدوك أصدق لثانية واحدة موضوع بابا نويل ده؟

- لأ

- أهوه ، أنا ما باؤمنش بموضوع بابا نويل ده إنما أنا بأؤمن بربّنا.

طبعاً كلامها ده شقلب كل حاجة

- و اكتب لربّنا ليه؟

-علشان ما تحسّش بالوحدة اللي انت حاسس بيها

- إزاي ابقى مش وحيد مع حاجة مش موجودة؟

- مش موجود ليه ؟ خليه انت يبقى موجود علشانك

و وطت عليّ:

- كل ما هتؤمن بيه أكتر كل ما هيبقى موجود أكتر،و لو آمنت بيه للآخر هتحس بوجوده الحقيقي وهتبص تلاقيه بيساعدك.

- طب وأكتب له إيه؟

- احكي له على أفكارك، الأفكار اللي بتفكر فيها وما بتقولهاش، الأفكار اللي بتيجي على بالك دايماً، الأفكار اللي بتقلقك، الأفكار اللي بتِقدم جواك وتاخد مكان أفكار جديدة واللي لو ما قلتهمش لحد، دماغك حتبقى مزبلة للأفكار القديمة.

- موافق

- وممكن كمان تتطلب من ربنا انه يحقق لك أمنية كل يوم، بس بشرط:أمنية واحدة بس كل يوم.

- أي كلام ربنا بتاعك ده يا ماما، مصباح علاء الدين السحري بيحقق تلات أماني مرة واحدة!

- أمنية واحدة في اليوم أحسن من تلات أماني في العمر كله.مش كده؟

- كده!يعني انا ممكن أطلب منه أي حاجة؟ بونبوني، لعب،عربية...

- لأ يا أوسكار ربنا مش بابا نويل،تقدر تطلب منه بس حاجات معنوية.

- زي إيه؟

- تطلب منه الرجولة، الاحتمال، تطلب منه ينور لك طريقك

- طيب، فهمت

- وممكن تطلب منه كمان إنه يرحم ناس تانية عزيزة عليك

- أمنية واحدة في اليوم! وهاطلب حاجات لناس تانية، أمـــا أبقى اشوف نفسي الأول يا ماما وبعدين أبقى أشوف اللـــي حواليّه.

آدي الحكاية يا سيدي، وبمناسبة أول جواب أكتبهولـــك ،أنـــا شرحت لك الأحوال هنا في المستشفى اللي شايفينّي فيها عقبة في طريق الطب وعاوز أطلب منك تنورني في الموضـــوع بتـــاعي: يعني أنا باختصار هاخف ولا لأ؟و ياريت لو تجاوبني آه أو لأ... يعني تحذف الإجابة الغلط وأنا هافهم، اتهيألي مش صعبة دي.

إلى اللقاء بكره، قبلاتي

أوسكار

ملحوظة: دلوقت أنا مش عارف عنوانك، أعمل إيه ؟!

عزيزي ربنا:

مش ممكن... ده انت ما حصلتش!! أنا ما كنتش متخيلك جامد قوي كده، جاوبتني حتى قبل ما أبعت لك الجواب، انت بتعمل كده إزاي؟

النهارده الصبح وأنا قاعد مع صاحبي اينشتين بنلعب شطرنج في القاعة اللي بنقعد فيها، دخل علينا فشار وقال:

- أهلك جم

- أهلي أنا؟ دول ما بيجوش إلا يوم الحد.

- أنا شفت عربيتهم، جيب حمرا وسقفها أبيض

- مش ممكن

هزيت اكتافي باستهزاء وكملت لعب، اينشتين كان واكل لي حاجات كتير في الدور اللي كنا بنلعبه وده كان موترني أكتر. على فكرة اينشتين سموه كده مش علشان هو أذكى واحد فينا، لأ! علشان راسه قد راسنا مرتين،المرض بتاعه اسمه الاستسقاء، خسارة، لو دماغه دي كانت كبيرة علشان مخه كبير كان عمل حاجات عظيمة.

ولأن انا كنت باخسر كده كده، سبت الدور ورحت مع فشار أوضته اللي بتطل على الباركينج بتاع المستشفى.فشار كان عنده حق، أهلي جم فعلاً.

وبالمناسبة يا ربنا أحب أوضح لك حاجة : أنا وأهلي بقينا عايشين بعيد عن بعض، الأول لما كنت عايش معاهم ما كنتش

شايف كده، انما دلوقت لما ما بقيتش عايش معاهم بقى اتهيألي ان احنا بعاد عن بعض، علشان بقيت باشـــوفهم مـــرة واحـــدة فـــي الأسبوع، يوم الحد لما هما الاتنين بيبقى عندهم أجازة وأنا كمـــان ما باشتغلش.

- شفت ان انا كان عندي حق، هتديني ايه علشان قلت لك؟

- عندي شوكولاتة بالمكسرات

- ليه انت خلصت الفراولة؟

- أيوة

- خلاص ماشي

طبعاً ما كانش لي حق أدي لفشار شوكولاتة لأنه بيتعالج من السمنة، عنده 9 سنين ووزنه 98 كيلو وطوله متر و10 ســـنتي، يعني طوله قد عرضه! اللبس الوحيد اللي بييجي مقاسه هو لـــبس الرياضة بتاع البولو الأمريكاني،و اللبس ده مخطـــط وبيزغلـــل العينين لدرجة ان الواحد بيجي له دوار بحر.الحقيقة انه لا أنا ولا أهلي مصدقين انه ممكن يخس، بيحب الأكل قوي وبيصعب علينا علشان كده بندي له اللي بيفضل من الأكل.يعني باكو شـــوكولاتة في كل الدهن اللي جواه ده هيعمل ايه، يمكن احنا ما ينفعش نعمل كده بس الممرضات همه راخرين بطلوا يدوا له الملينات.

رحت الأوضة بتاعتي علشـــان أســـتنى أهلـــي، فـــي الأول ماخدتش بالي من الوقت، لأني كان لازم آخد نفسي، بـــس بعـــد شوية ابتديت آخد بالي انهم كانوا لحقوا يوصلوا 1000 مرة.

و فجأة افتكرت همه ممكن يكونوا فين، خرجت في الطرقـــة واتأكدت انه ماحدش شايفني، نزلت على الســـلم او مشـــيت فـــي الضلمة لحد ما وصلت لمكتب دكتور دوسلدورف.

فعلاً كانوا عنده، سمعت أصواتهم من ورا الباب، السلم تعبني وخدت وقت على ما قلبي رجع مكانه.الوقت اللي انا استنيته علشان آخد نفسي ده بوظ كل حاجة، سمعت اللي ما كانش مفروض أسمعه. أمي كانت بتعيط، والدكتور دوسلدورف كان قاعد يعيد لها جملة واحدة:"احنا عملنا كل اللي قدرنا عليه، صدقوني احنا عملنا كل حاجة نقدر نعملها"، أبويا كان بيرد عليه وصوته مخنوق:"انا مصدقك يا دكتور، انا ما باشكش في كده أبداً".

وأنا كانت وداني لازقة في الباب المعدن وما بقيتش عارف إيه اللي أسقع المعدن ولا جسمي.

بعد كده الدكتور دوسلدورف سألهم:

- تحبوا تشوفوه؟

- أنا مش قادرة إطلاقاً – أمي ردت عليه

بابا ردّ:

- مش المفروض إنه يشوفنا في الحالة دي

ساعتها فهمت إن أهلي جبانات والأوحش من كده انهم فاكريني انا كمان جبان!

لما حسيت بحركة الكراسي في الأوضة عرفت انهم هيخرجوا دلوقت ففتحت أول باب قابلني وقفلته عليّ وبالطريقة دي لاقيت نفسي في دولاب الحيطة اللي بيخزنوا فيه المقشات والفرش وقضيت هناك بقية النهار لأن دواليب الحيطة طبعاً (زي ما انت تلاقيك عارف يا ربنا) بتتفتح من بره بس مش من جوه زي ما يكون مثلاً خايفين ان المقشات أو الجرادل ممكن تهرب بالليل!

المهم ان أنا فضلت – ما اعرفش إزاي – ساكت في الضلمة وأنا مقفول عليّ، لأني ما كنتش عاوز أشوف حد، وكمان لأن رجلي وإيديا ما كانوش قادرين يسمعوا كلامي بعد الصدمة اللي أنا خدتها، بعد اللي أنا سمعته.

قريب من الضهر كده، حسيت بحركة في الدور اللي فوقي، خطوات ناس ، جري وبعدين سمعت ناس بتزعق:

- أوسكار! أوسكار!

عجبني قوي انهم بينادوا عليّ وانا ما باردش، كان نفسي أزعل كل الناس اللي في الدنيا.

بعد كده الظاهر ان انا نعست شوية وصحيت على صوت البوت البلاستيك بتاع مدام ندا الكناسة بتاعتنا.فتحت الدولاب، واتخضينا احنا الإتنين: هي – لأنها ما كانتش متوقعة تشوفني هنا، وأنا – لأني نسيت انها ممكن تبقى سودا وتزعق بصوت عالي كده.

وبعد كده ابتدى الهبل كله بقى..الدنيا كلها :الدكتور دوسلدورف والممرضات بتوع الصبح والنوباتجيات والدادات...المستشفى كلها، وبدل ما يزعقوا لي، وده اللي أنا كنت منتظره، كانوا زي ما يكونوا همه اللي غلطانين، وأنا ساعتها فهمت طبعا إنّي لازم أستغل الموقف.

- عاوز أشوف الدادا الوردية
- انت كنت فين يا أوسكار؟ انت كويس؟
- عاوز أشوف الدادا الوردية

- إيه اللي دخلــك دولاب المقشــات؟ كنــت بتجــري ورا مين؟سمعت حاجة؟

- عاوز أشوف الدادا الوردية

- اشرب كباية ميه

- لأ، عاوز أشوف الدادا الوردية

- طب كل حتة ...

- لأ، عاوز أشوف الدادا الوردية

تقولش مثلاً حتة صخر جرانيت أو حجر من اللي على البحر أو عامود مسلح أسمنت، ما فيش أي حاجة تعدي منه.أنا حتى ما كنتش باسمع همه بيقولوا إيه.كنت عاوز أشوف ماما الوردية بأي شكل.

دكتور دوسلدورف كان طبعاً محرج قدام زمايلــه إنــه مــا بيأثرش فيّ خالص. بس الموضوع خلص إنه راح قايلهم:

- خليهم يجيبوا الدادا اللي بيقول عليها

ساعتها وافقت إننا أستريح ونمت شــوية فــي أوضــتي.لما صحيت، ماما الوردية كانت هنا. ابتسمت

- برافو يا أوسكار، عملت اللي في دماغك، واديتهم بــالقلم كلهم والنتيجة انهم بقوا بيحسدوني.

- ما يهمنيش

- الناس دي ناس كويسة يا أوسكار، كويسة قوي

- ولا يهمني

- إيه اللي حصل؟

- دكتور دوسلدورف قال لأهلي إنه أنا هـــاموت، وهمـــه جريوا، أنا باكرههم

و حكيت لها التفاصيل زي ما باحكيلك دلوقت يا ربنا.

- هيييه، ده بيفكرني بالماتش اللي لعبته في بيتيـــون ضـــد سارة يوب لا بوم، واحدة مصارعة دهنت نفسها زيـــت ودخلت الحلبة تقريباً عريانة.كانوا بيسموها تعبان الحلبة، كانت بتتزفلط من إيد الواحد لمـــا تحـــاول تمســـكها.كل المباريات بتاعتها كانت دايماً في بيتيون وكانـــت بتاخـــد الكاس بتاع المدينة كل سنة.و أنا كمان كنت عاوزه آخد الكاس.

- وعملت إيه يا ماما؟

- لما ظهرت على الحلبة أصحابي رمـــوا عليهـــا كـــيس دقيق.الدقيق مع الزيت عملوا شغل هايـــل. وحياتـــك 3 حركات ورفعة كانت مقلوبة على أرض الحلبـــة. ومـــن ساعتها ما بقاش اسمها تعبان الحلبة، بقى اسمها اسكالوب بانيه

- معلهش يا ماما بس أنا مش شايف العلاقة بين ده وبـــين اللي بيحصل.

- أنا شايفه، دايماً فيه حل يا أوسكار، دايماً هتلاقي كـــيس دقيق.لازم تكتب لربنا هو أقوى مني.

- حتى في المصارعة؟

- أيوة حتى في المصارعة، ربنا عارف شـــغله كـــويس، حاول يا حبيبي، إيه أكتر حاجة زعلتك؟

- أنا باكره اهلي

- كويس جداً ، اكرههم كمان وكمان

- انت اللي بتقولي كده يا ماما الوردية؟

- أيوة خلي الكره اللي في قلبك يزيد، علشان يبقى عامـــل زي العضمة في بق الكلب.لمّا تبطل تعضها هـــتفهم إن كل ده مالوش أي معنى.اكتب لربنا عن كل اللي حصـــل واطلب منه في جوابك إنه يزورك.

- هوه بيقدر يتحرك؟

- بطريقته الخاصة طبعاً بيقدر، بس مش كتير، نادر يعني لما بيتحرك.

- ليه؟ هوه كمان عيان؟

و هنا فهمت من تنهيدة ماما الوردية إنها مش عايزة تعرفني إن حالتك انت كمان يا ربنا يعني مش ولا بد.

- أهلك يا أوسكار ما كلموكش خلص عن ربنا؟

- ما بلاش نفتكرهم دلوقت.أهلي وحشين

- طبعاً وحشين . بس ما اتكلموش معاك أبداً عن ربنا؟

- اكلموا معاي مرة واحدة، بس علشان يقولـــوا انهـــم مـــا عادوش بيؤمنوا بيه.هما بيؤمنوا في بابا نويل.

- معقوله هما وحشين للدرجة دي؟

- تصوري بقى!لمّا مرة رجعت من المدرسة وقلت لهم إن أنا عرفت إن ما فيش بابا نويل ولا حاجة كانوا زي مـــا يكون وقعوا من القمر.و طبعاً لأن أنا زهقت من شـــكلي وأنا عبيط وأهلي بيضحكوا عليّ بالكلام الفاضي ده، همه حلفوا لي إنهم ما كانوش بيضحكوا عليّ وكـــانوا فعـــلاً فاكرين إنه موجود.دلوقت زعلوا جداً – همه قالوا كده –

زعلوا قوي جداً لمّا عرفوا إنه في الحقيقة بابا نويل مش موجود! بزمتك مش اتنين كبار إنما عبط ، مش باقولك!

- عاوز تقولي إنهم ما بيؤمنوش بربنا؟
- أيوة
- و انت ما فكرتش في الموضوع ده ولا مرة؟
- لو ابتديت أهتم باللي بيفكر فيه العبط مش حيفضل عندي وقت لأفكار الناس الذكية
- عندك حق، يعني معنى كده انت شايف إن أهلك عبط؟
- عبط بحق وحقيقي يا مدام
- طيب أما هما مش صح وما بيؤمنوش ليه انت ما تتأكدش وتطلب منه إنه يزورك؟
- حاضر بس انت قلت إنه عيان مش كده؟
- لأ بس الفكرة في إنه ليه طريقته في الزيارة.ممكن يظهر لك في أفكارك... في خيالك.

عجبتني الحتة دي قوي ، هايل. وماما الوردية كمان قالت لي:

- هتشوف إن زيارته هتفيدك قوي
- أوكي، هاكلم معاه، بس أكتر زيارة بتفيدني لحد دلوقت هي زيارتك إنت.

ماما الوردية ابتسمت وقربت منّي – زي ما تكون مكسوفة – علشان تبوسني ف خدي بس ما قدرتش تبوسني ونظرتها كانت زي ما تكون بتطلب مني إذن.

- ماشي، أوكي...بوسيني، ومش حأقول لحد، مش حابوظ سمعتك بتاعة المصارعة.

شفايفها لمست خدي، انبسطت إنها باستني وحسيت إني باغير وحسيت بدفا، ريحتها كانت صابون وبودرة.

- هاتيجي تاني إمتى؟
- أقدر آجي مرتين في الأسبوع بس.
- ما ينفعش الكلام ده يا ماما الوردية! ما عنديش استعداد لسة أستنى 3 ايام بحالهم.
- قواعد المستشفى بتقول كده.
- و مين اللي حط القواعد دي؟
- دكتور دوسلدورف
- دكتور دوسلدورف لما بيشوفني بيبقى هيعملها على روحه من الخوف، روحي اطلبي منه إذن، مدام أنا مش باهزر.

بصت عليّ وهي مش متأكدة.

- أنا مش باهزر.لو ما جيتيليش كل يوم، مش حاكتب لربنا.
- هاحاول.

ماما الوردية مشيت وأنا قعدت أعيط.ما كنتش عارف قبل اللحظة دي قد إيه أنا محتاج مساعدة.ما كنتش فاهم قد إيه انا عيّان.أول ما فكّرت في اني مش هاشوف أمي الوردية، ابتديت أفهم كل ده، والدموع بقت بتنزل لوحدها وتحرق خدودي.

لحسن الحظ قدرت أمسك نفسي قبل ما هي تيجي.

- كله تمام:خدت منه إذن إني آجي لك كل يوم فـــي ال12 يوم اللي جايين.

- تيجي لي أنا لوحدي بس؟

- أيوة ليك إنت لوحدك بس يا أوسكار. 12 يوم.

وساعتها ما عرفتش إيه اللي حصل لي، بس دموعي رجعت تنزل تاني لوحدها وما قدرتش أبطل عياط.مع إني عـــارف إنـــه الولاد مش المفروض يعيطوا.بالذات واحد زيي براسي القرعـــة اللي مخليه شكلي لا هوه ولد ولا بنت، شكلي زي ما اكون مـــن المريخ.بس هانعمل إيه: المهم إني ما عرفتش أبطل عياط.

- 12 يوم؟ يعني حالتي وحشة للدرجة دي يا ماما؟

هي كمان كانت هتعيط بس مسكت نفســـها علـــى الآخـــر، الظاهر إن المصارعة خلتها تعرف تمسك نفسها كويس، قعـــدت أتفرج عليها ونسيت اللي أنا فيه شوية.

- النهاردة كام في الشهر يا أوسكار؟

- يعني مش شايفة في النتيجة؟ النهاردة 19 ديسمبر.

- البلد اللي أنا منها فيها أسطورة بتقول إنه ممكن من آخـــر 12 يوم في السنة تقدر تعرف الجو هيبقى عامل إزاي في ال12 شهر بتوع السنة الجديدة. علشان تعرف الجو فـــي كل شهر لازم تاخد بالك من الجو في كل يوم مـــن آخـــر 12 يوم في السنة. 19 ديسمبر هو ينـــاير، 20 ديســـمبر فبراير وكدة يعني لحد 31 ديسمبر اللي هو هيبقـــى زي ديسمبر من السنة الجديدة.

- معقولة؟

- دي أسطورة، أسطورة عن 12 يوم بتوع التنبؤ بالسنة الجديدة. بس أنا عاوزة العب معاك اللعبة دي. يعني نبتدي من النهاردة تبص على كل يوم وتتخيل إن كل يوم بعشر سنين.

- بعشر سنين؟

- أيوة . يوم واحد بعشر سنين.

- يعني كمان 12 يوم هيبقى عندي 130 سنة!

- أيوة، تصوّر؟

ماما الوردية باستني- عجبتها اللعبة الظاهر- وبعدين مشيت.

آدي الحكاية يا ربنا: يعني أنا اتولدت النهاردة الصبح وطبعاً ما قدرتش أوعى على طول اللي بيحصل، ابتديت أفهم على الضهر كده، في سن خمس سنين كنت ابتديت افهم شوية بس الأخبار ما كانتش ولابد. النهاردة بالليل عندي عشر سنين، سن أقدر أفهم فيه.علشان كده بانتهز الفرصة دي وباطلب منك حاجة واحدة: لمّا يبقى عندك ليّ أخبار، زي النهاردة كدة الضهر،ابقى قولها لي بطريقة أخف من كده، مش دوغري كده خبط لزق.شكراً.

إلى اللقاء بكره، قبلاتي

أوسكار

ملحوظة: عاوز أطلب كمان حاجة صغيرة، أنا عرف إنه ليّ حاجة واحدة أطلبها في اليوم بس الطلب الأولاني كـــان نصـــيحة أكتر منه طلب.

أنا موافق إن انت تزورني زيارة قصيرة. في افكاري طبعاً. اتهيألي هتبقى حاجة جميلة. أنا نفسي إنك تيجي. ساعات الشـــغل بتاعتي من 8 الصبح لحد 9 بالليل بقية الوقت بانام. أحياناً باغفل الصبح علشان العلاج. بس حتى لو كنت نايم، صـــحيني وقلبـــك جامد.أظن تبقى غباوة لو الواحد يضيع فرصة زي كـــده علشـــان فرق المواعيد.مش كده برضه؟

عزيزي ربنا:

النهاردة سن المراهقة بتاعتي، والمسائل مش ماشية بهدوء.هنعمل إيه الدنيا كده!كل مشاكلي – مع اصحابي ومع أهلي – من ورا البنات. أنا سعيد إنه بالليل لمّا أتم العشرين هاقدر أستريح من كل ده وأبص عليه على إنه جزء من الماضي. عموماً أنا متشكر على البلوغ والكلام ده كله بس مش هاتكلم في المواضيع دي أكتر من كده.

بداية أحب ألفت نظرك يا ربنا إن انت ما زرتنيش. انا النهارده ما نمتش طول الليل طبعاً علشان مشاكل البلوغ وانت عارف وبالتالي ما كانش ممكن تيجي وما اخدش بالي وبعدين أنا باقول لك للمرة التانية: حتى لو لقيتني نايم صحينيي.

لما صحيت النهارده لقيت ماما الوردية هنا.حكيت لي على الفطار على الماتش بتاعها مع "صدر الملكة" المصارعة البلجيكية اللي كانت بتاكل 3 كيلو لحمة نية في اليوم وبتبلع ببرميل بيرة بحاله.قوة "صدر الملكة" زي ما تقول كانت في النفس بتاعها،اللي كان منتن من اللحمة النية اللي خمرتها البيرة، كانت بس تنفخ في اللي قدامها وهو يرجع لوحده ويتقلب على اللـيّ قاعدين.علشان ماما الوردية تغلبها كان لازم تفكر في طريقة جديدة... لبست كمامة منقوعة في لافندر وسمت نفسها جلاد كاربنتر.زي ما دايماً هي بتقول إن المصارعة مش بس عضلات إنما لازم كمان دماغك تشتغل.

- مين اللي بيعجبك يا أوسكار؟
- هنا في المستشفى؟

- أيوة
- بسطرمة، اينشتين،فشار.
- و من البنات؟

السؤال ده حيّرني.و ما كنتش عاوز أجاوب عليه بس مامـــا الوردية كانت مستنية إجابة والواحد طبيعي ما ينفعش يلف ويدور مع واحدة مصارعة عالمية زيها.

- بيجي بلو

بيجي بلو دي بنت زرقا، عايشة في قبل آخـــر أوضـــة فـــي الكوريدور.ضحكتها جميلة قوي، بس تقريباً ما بتكلّمش.زي مـــا تكون ساحرة نزلت في المستشفى دقيقتين وماشية.المرض بتاعها صعب، مشكلة في الدم، ما بيوصلش للرئتين علشان كده جلـــدها لونه بيبقى مزرق.و هي مستنية العملية علشـــان جلـــدها يرجـــع وردي ولو إني شايف إنها حلـــوة وهـــي زرقـــا.هي دي بيجـــي بلو.حواليها سحابة وسكون.تقرب منهـــا زي مـــا تكـــون داخـــل الكنيسة.

- وانت قلت لها ؟
- وهوه انا عبيط علشان أروح لها كده من البـــاب للطـــاق وأقول لها:"بيجي بلو، انا معجب بيك"؟
- وليه لأ؟
- انا مش متأكد إنها أصلاً تعرف إن أنا موجود.
- بالعكس ...ده سبب إنّك تروح لها.

- إنت مش شايفة راسي عاملة إزاي؟لو كانت هي بتحب الناس اللي جايين من كواكب تانية كان يبقى معلهش ، بس ما تهيألليش.

- بس انا شايفاك جميل جداً يا أوسكار.

الجملة دي وقفت الحوار شوية .حلو إن الواحد يسمع الكلام ده، الحاجات اللي زي دي بتشبع غرور الواحد بس مش فاهم الواحد يرد يقول إيه.

- انا مش ناوي أغريها بشكلي.

- إنت حاسس ناحيتها بإيه؟

- نفسي أبقى انا اللّي باحميها من الأشباح.

- إيه ده؟ هوّ فيه هنا أشباح بتطلع؟

- أيوة.كل ليلة.مش عارف حتى ليه، بيطلعوا يصحّونا .يقرصونا (قرصتهم بتوجع على فكرة) وما حدش بيعرف يشوفهم وبتبقى حاجة مرعبة وبعد كده مابنعرفش ننام.

- و الأشباح بتطلع لك كتير؟

- لأ، أنا نومي تقيل إنما باسمع بيجي بتزعق في نص الليل. ونفسي أبقى انا اللّي باحميها منهم.

- قول لها الموضوع ده.

- عموماً أنا غالباً مش حاقدر أدافع عنها لأنه ممنوع نخرج بالليل من الأوض بتاعتنا.القوانين كده.

- ويعني هي الأشباح تعرف القوانين دي؟لأ طبعاً.اضحك عليهم: هم لو سمعوك بتقول لبيجي بلو إنك هتحميها منهم مش هيستجروا ييجو لها تاني.

- بس انا... أنا...

- إنت عندك كام سنة يا أوسكار؟

- مش عارف، هو الساعة كام دلوقت؟

- الساعة دلوقت عشرة .يعني إنت قرّبت على 15 سنة.إنت مش شايف إنه آن الأوان إنك تبقى أشجع من كده في عواطفك؟

الساعة عشرة ونص خدت بعضي ورحت للأوضة بتاعتها ، الباب كان موارب.

- بيجي،إزيك، أنا أوسكار

بيجي كانت نايمة وكانت شبه الأميرة بتاعة حكاية الأقزام السبعة اللي مستنية الأمير، لمّا كل الأقزام السبعة الشريرة افتكرتها ماتت. شبه الأميرة وهي في الصور اللي فيها تلج لمّا التلج يبقى شكله مزرق من كتر بياضه.

بيجي بلو لفت وبصت لي، وأنا فكرت بيني وبين نفسي:"يا ترى هي شايفاني أمير ولا واحد من الأقزام السبعة". الحقيقة أنا شكلي أقرب للأقزام براسي القرعة دي، بس هي ما قالتش حاجة، ودي كانت أجمل حاجة فيها:ما بتقولش أي حاجة ومخلية كل حاجة غامضة.

- أنا جاي أقول لك إن من الليلة دي أنا هاقف على باب أوضتك، لو ما عندكيش مانع، علشان احميك من الأشباح.

بصت لي، ورموشها بربشت.كل حاجة في اللحظة دي كانت عاملة زي ما تكون بالتصوير البطـــيء، الهـــواء كـــان فاضـــي والسكوت كان مالوش صوت، وأنا كنت باتحرك زي مـــا اكـــون باتحرك في المية،و كل حاجة بتتغير كل ما اقرب مـــن الســـرير بتاعها اللي عليه إضاءة مش مفهوم رايحة فين.

- استنى عندك... استنى يا أقرع: أنا اللي هاحمي بيجـــي بلو!

فشار ظهر في فتحة الباب ، الحقيقة هو مـــلا فتحـــة البـــاب بجسمه.

أنا اتخضيت. طبعاً حمايته هو هتكون أضمن: لأن مـــافيش شبح أصلاً هيقدر يعدّي من الباب.

غمز لبيجي.

- يا بيجي! مش انا وانت صحاب؟هه؟

بيجي بصت على السقف. وفشار خد سكوتها على إن هـــي موافقة. وطردني من الأوضة

- لو عاوز بنت ، خد ساندرينا، مافيش صيد هنا يا بابا.
- بأي حق؟
- بحق اللي جه الأول: انا جيت هنا قبلك.لو مش عاجبـــك يلّى نتخانق.

و النتيجة إنه عاجبني جداً، تعبت شوية ورحـــت أقعـــد فـــي أوضة اللعب.ساندرينا طلعت بالصدفة هناك، ســـاندرينا عنـــدها لوكيميا زيي، بس العلاج زي ما يكون جايـــب نتيجـــة معاهـــا.

سموها "الصينية" علشان الباروكة السوداء اللي شعرها بيلمع اللي هي لابساها والقصة اللي عاملاها.بصت علي وعملت بالونة باللبانة اللي في بقها.

- ممكن تبوسني لو عاوز.
- و أبوسك ليه اللبانة اللي في بقك مش كفاية؟
- أصل إنت عبيط يا بني، وتلاقيك أصلاً ما بتعرفش تبوس. تراهن إن انت عمرك ما جرّبت؟
- هيهيهي، ضحكتيني! يعني يبقى عندي 15 سنة وعمري ما جربت أبوس.أحب أقول لك إنك غلطانة.

سألتني ساندرينا وهي مستغربة:

- إنت عندك 15 سنة؟

بصيت في الساعة

- أيوة، تميت ال15
- أنا كان نفسي دايماً إن حد كبير يبوسني ، يعني مثلاً ولد عنده 15 سنة.
- طبعاً طبعاً فاهم.

و ساعتها فجأة سانرينا راحت مغيرة شكل وشها، ومدت بوزها لقدام (تخيل كده زي البتاعة البلاستيك اللي بتتلزق على الإزاز)، وأنا فهمت إنها بكده مستنياني أبوسها.

إدوّرت لقيت كل اصحابي واقفين بيتفرجوا، يعني مافيش غير حل واحد، لازم أطلع راجل ..آن الأوان.

قربت منها وبستها، راحت هي ماسكاني بدراعاتها وأنا مش قادر أفلفص، وبُقّي اتبل وفجأة من غير أي إنذار دخلت اللبانة بتاعتها في بقي، وانا رحت بالعها من المفاجأة... الحركة دي غاظتني جداً.

في اللحظة دي لقيت حد بيخبط على ضهري... أصل المصايب لمّا بتيجي بتيجي مرّة واحدة:أهلي!...النهاردة الحد وأنا نسيت خالص!

- مش هتعرّفنا على صاحبتك يا أوسكار؟
- دي مش صاحبتي
- و ماله مش ممكن يعني تعرفنا عليها؟
- ساندرينا – أهلي – ساندرينا.
- فرصة سعيدة جداً. ساندرينا الصينية سلّمت على أهلي بطريقة رسمية.

كان نفسي ساعتها أخنقها.

- لو تحب ...ساندرينا ممكن تيجي معانا أوضتك؟
- لأ، ساندرينا هتفضل هنا.

لمّا رجعنا الأوضة حسيت إنه أنا تعبان فنمت شوية. كده كده أنا ما كنتش عاوز أتكلم معاهم.

لمّا صحيت، ابتدوا يدّوني هدايا. من ساعة ما دخلت المستشفي أهلي بقوا بيستصعبوا يتكلموا معايا، علشان كده بقوا بيجيبوا لي هدايا وكل الوقت اللي بعد الضهر باقعد معاهم نقرا قواعد اللعب وطريقة الاستخدام للعب اللي بيجيبوها.

بابا مستحيل يزهق من قراية كل النشرات اللي بتيجي مع الأجهزة، حتى لو النشرة بالتركي أو بالياباني ، مافيش حاجة ممكن توقفه، حتلاقيه يدخل على الرسومات والخرايط. بابا ده أحسن واحد في الدنيا يبوظ أيام الأجازة.

النهارده جاب لي جهاز بيك اب. حتى لو ما كنتش عاوز ما كنتش أقدر أرفض.

- انتو جيتم امبارح؟
- امبارح؟ جبت الكلام ده منين؟احنا ما بنقدرش نيجي إلا يوم الحد، بتسأل ليه؟
- الولاد شافوا العربية بتاعتكو هنا امبارح
- يعني هو الدنيا ما فيهاش غير عربية واحدة جيب حمرا، فيه عربيات كتير شبه بتاعتنا.
- طبعاً، زي ما يكون غرب. حاجة تزعّل

و رحت بعد كده مورّيهم.خدت الجهاز اللي جابوهولي وقعدت أسمع وهمّا قاعدين اسطوانة "كسارة البندق" مرتين ورا بعض، ولمدة ساعتين ما قدروش يقولوا ولا كلمة. يستاهلوا.

- عجبتك الهدية؟
- آه جداً، بتخلي الواحد عاوز ينام

فهموا انهم لازم يمشوا.كان واضح طبعاً انهم متوترين.كان باين انهم عاوزين يقولوا حاجة ومش عارفين.و أنا كنت مبسوط وأنا قاعد أتفرج عليهم في الحالة دي بيتعذبوا همّا كمان.

ماما اترمت عليّ وحضنتني جامد قوي، زيادة عن اللازم، وقالت بصوت مجنون:

- أوسكار يا حبيبي، انا باحبك قوي، أنا باحبك جامد قوي.

كنت عاوز أفلفص منها بس في الآخر سبت نفسي.افتكرت أيام زمان لما كان الدلع بتاعها بسيط ورقيق، لمّا كانت بتقول لي انها بتحبني من غير الكآبة اللي ماليه صوتها دي.

بعد كده كنت عاوز انام شوية.

ماما الوردية بطلة الصحيان. دايماً بالاقيها مستنياني لمّا باصحى ودايماً مبتسمة في اللحظة اللي بافتح فيها عيني.

- ها؟ أهلك عاملين إيه؟
- مافيش، عادي. إدوني هدية "كسارة البندق".
- "كسارة البندق"؟هايل، كان عندي واحدة صاحبتي كانوا مسمينها كده. بطلة درجة أولى، كانت بتكسر رقبة اللي بيلعبوا ضدها عن طريق انها بتحطها بين رجليها... وبيجي بلو ، رحت لها؟
- بلاش نتكلم في الموضوع ده تاني، لقيتها مخطوبة لفشار.
- هي اللي قالت لك كده؟
- لأ، هو اللي قال لي.
- كذاب!
- ما تهيألليش. انا متأكد انه عاجبها أكتر مني، هو برضه أقوى منّي وممكن الاعتماد عليه.

- كل ده كلام فاضي، وانا باقول لك أهوه! انا كان شـــكلي في الحلبة زي الفار بس كنت باكسب مصـــارعين شـــبه الحيتان أو الخراتيت. يعني خد عندك مثلاً "بلوم بودينج" الإيرلندية اللي كان وزنها قبل الأكل وبالملابس الداخلية بس 150 كيلو يعني موسوعة جينيس بالنســـبة لهـــا ولا حاجة.عرض رقبتها كان قريب من عـــرض الحـــوض بتاعي، مجانصها عاملة زي رجلي، رجليها ما تقـــدرش تحوطها بدراعاتك.مافيش وسط أصلاً، بالعربي مـــافيش حتة تقدر تمسكها منها أساساً.ما تتغلبش!

- و قدرت تغلبيها إزاي؟

- طالما ما فيش حتة تتمسك منها ، يعني مدوّرة وممكـــن تتدحرج.خليتها تجري كتير علشان تتعـــب، وبعـــد كـــده وقعتها على ضهرها.بلوم بودينج كانت محتاجـــة ونـــش علشان يقومها على رجليها.إنت يا بني عضمك خفيـــف وما عندكش لحمة كتير– الحق يتقال–.و علشان تعجـــب حد العضم واللحم مش كفاية، لازم تبقى روحـــك فيهـــا ميزات كتيرة وإنت روحك مليانة ميزات.

- انا؟

- روح لبيجي بلو وقول لها على اللي في قلبك.

- أنا تعبان شوية

- تعبان؟ليه إنت عندك كام سنة دلوقـــت؟18؟النـــاس مـــا بتتعبش في 18 سنة.

ماما الوردية دي عليها طريقة في الكلام تخلي الواحد يتملي طاقة.

الليل دخل والأصوات بقت باينة أكتر، والمشمع اللـــي فـــي أرض الكوريدور في المستشفى كان بيعكس ضوء القمر.

دخلت الأوضة عند بيجي بلو ومـــديت لهـــا ايديـــه بجهـــاز الاسطوانات.

- اتفضلي يا بيجي... اسمعي فالس عـــرايس التلج.فـــالس جميل وكل ما باسمعه بافتكرك.

بيجي سمعت فالس عرايس التلج. ضحكت زي مـــا يكـــون الفالس ده صاحبها من زمان وقال لها حاجة في ودنها.

رجعت لي الجهاز وقالت:

- جميل قوي.

ده كان أول كلام تقوله.بالذمة مش دي أجمل بداية؟

- بيجي بلو أنا عاوز أقول لك : أنا مش عاوزهم يعملوا لك العملية، انت حلوة كده زي ما انت . اللون الأزرق لايق عليك جداً.

كنت شايف كويس إزاي كلامي عاجبها، بس انا مـــا كنـــتش باقول كده علشان كلامي يعجبها بس كان واضح إنه عاجبها.

- أنا عاوزاك إنت يا أوسكار تحميني من الأشباح.
- تقدري تعتمدي عليّ يا بيجي.

انا كنت فخور قوي إنه أنا اللي في الآخر انتصرت!

- أوسكار ممكن تبوسني؟!!

الظاهر إن البوس ده عند البنات هو أهم حاجة في الدنيا، ما يقدروش يعيشوا من غيره. بس بيجي بلو ما كانتش صـــايعة زي الصينية، إدتني خدّها أبوسه ...بس البوسة دي خلتني أعرق.

- تصبحي على خير يا بيجي
- تصبح على خير يا أوسكار

آدي اليوم بتاعي يا ربنا. دلوقت بس فهمـــت ليـــه بيســـموا المراهقة سن صعب. هو فعلاً صعب بس بعد العشرين كل حاجة بتمشي كويس.

ودلوقت بابعت لك الطلب بتاع النهارده: أنا عـــاوز أجـــوّز بيجي بلو. أنا مش متأكد إذا كان الجواز بقى يعتبر طلب روحاني ولا مش روحاني، يعني مش عارف إذا كان داخل في تخصصك ولا لأ؟يا ترى هتقدر تلبي طلب زي ده زي نوادي التعارف وكده ولا لأ؟ لو مش هتقدر خليني أعرف بسرعة، علشان ألحق أروح لخاطبة أو اتصرّف.أنا ما باستعجلكش ولا حاجـــة بـــس عـــاوز أفكّرك إنه وقتي قليل قوي. وبكده طلب النهـــارده يبقـــى جـــواز أوسكار وبيجي بلو... آه أو لأ...شوف بقى لو هتقدر تعمـــل ده، لأن نفسي فيه قوي.

إلى اللقاء بكره، قبلاتي

أوسكار.

ملحوظة: إنما هو بجد عنوانك إيه؟

حصل يا ربّنا ...حصل! أنا وبيجي بلو إجوّزنا. النهاردة 21 ديسمبر، وأنا باخلص اللي بيسموه العقد التالت وبقيت مجّوز.أنا وبيجي قررنا نأجل موضوع العيال دلوقت.أظن إن هيّ لسة مش مستعدّة للخلفة دلوقت.

كل حاجة حصلت إمبارح بالليل.

الساعة واحدة بالليل سمعت بيجي بلو بتتأوه.نطيت من السرير، أشباح! الأشباح بتعذب في بيجي بلو اللي أنا وعدتها إنه أنا هاحميها منهم.دلوقت هتقول عليّ إن أنا بتاع كلام وهتبطل تكلمني وهيبقى عندها حق.

قمت وجريت ناحية الصوت.وصلت لأوضة بيجي، ولقيتها قاعدة على سريرها.استغربت لمّا شافتني، الظاهر إن شكلي كان مخضوض: قعدت قدامي وبقها مقفول والصوت برضه ما بطلش.

ساعتها كمّلت لحد الأوضة اللي بعدها وفهمت إن اللي بيصرّخ كان بسطرمة.كان بيتقلب في سريره زي ما يكون كان بيتقلب على نار.حسيت للحظة إن انا مكسوف من نفسي لمّا افتكرت اللي عملته في يوم من الأيام وحرقت البيت والقطّة والكلب وشويت السمك الذهبي – اللي اتهيألي إنه غالباً اتسلق ما اتشواش. فكّرت في القطة والكلب والسمك حسّوا بإيه ساعتها وقلت لنفسي ياريتني كنت سيبتهم بدل ما أقعد كل ساعة والتانية أتعذب لمّا افتكرهم وهم بيتحرقوا زي بسطرمة دلوقت اللي بيتعذب حتى مع زرع الجلد اللي عملوهوله وكل المراهم اللي بيحطها.

بسطرمة بعد شوية اتقلب وبطل يصرخ.و أنا رجعت لبيجـــي بلو.

- يعني مش إنت اللي كنت بتصرّخي يا بيجي؟ أنـــا كنـــت فاكر إنه إنت اللي بتصرخي كل ليلة.
- وانا كنت فاكرة إن إنت اللي بتصرّخ.

بعد الكلمتين دول قفلنا الموضوع ده وابتدينا نتكلم عن نفسنا: اتّضح إننا من زمان واحنا بنفكّر في بعض.

بيجي بلو إزرقّت أكتر ...(يعني إتكسفت).

- ودلوقت ناوي تعمل إيه يا أوسكار؟
- وإنت يا بيجي؟

حاجة تطير العقل، كمية الحاجات المشتركة اللي بينّا- نفـــس الأفكار، نفس الأسئلة.

- تحب تنام معايّ النهاردة؟

البنات دول شيء مش معقول.يعني علشان انا كنـــت أقـــول إقتراح زي كده كنت هاضيع ساعات وأسابيع وأشهر علـــى مـــا أقلّبها في دماغي. هيّ قالتها كده بسهولة وبشكل طبيعي ولا كـــإن في أي حاجة.

- أوكي

نمت جنبها.السرير كان ضيق شويّة علينا، بس قضينا ليلـــة في منتهى الجمال.بيجي كان ريحتها مكسرات، وجلدها كان ناعم زي كف إيدي بس عندها كل جسمها كده مش بس كف الإيد.نمنا

كتير، وشفنا أحلام مع بعض، وحضنّا بعض وكل واحد حكى للتاني عن حياته كلّها.

بس الحقيقة لمّا مدام جوميت، مشرفة الدادات لقيتنا مع بعض تاني يوم الصبح، عملت فيلم هندي، أوبرا بحق وحقيقي.قعدت تصرخ وتتشال وتتهبد، والدادا النوباتجية هي راخره انضمت لها وقعدوا الأول يزعّقوا في بعض وبعدين زعّقوا في بيجي وبعدين فيّ، ويرزعوا في بيبان وينادوا في ناس تانية تيجي تشهد وقعدوا يكلّموا عنّنا وكل ما تيجي سيرتنا يقولوا "المتاعيس دول" مع إن إحنا ما كنّاش متاعيس، بالعكس إحنا كنّا سُعدا جداً.وصول ماما الوردية بس هو اللي وقف كل الأفلام دي.

- يا ترى ما آنش الأوان تسيبوا الأولاد في حالهم؟إيه الأهم من وجهة نظركم- اللوايح ولا المرضى؟انا ما يهمنيش اللوايح بتاعتكو دي، بلّوها واشربوا ميّتها،دلوقت أنا عايزة هدوء واللي عاوز يقطّع شعره يروح يقطّعه في مكان تاني.المكان ده مش بتاع فضايح.

زي ما بيحصل دايماً مع ماما الوردية، ما ينفعش حد يقف قصادها أو يعارضها، خدتني لأوضتي، ونمت شويّة.

لمّا صحيت قدرنا نتكلّم.

- هم! يعني اللي بينك وبين بيجي بجد يا أوسكار؟
- كل شيء هايل يا ماما، هايل. أنا في غاية السعادة. الليلة دي أنا وبيجي إتجوزنا.
- إتجوزتم؟
- أيوة.عملنا كل اللي بيعمله الراجل والست لمّا بيتجوّزوا

- يا سلام؟

- أمال إنت فاكرة إيه؟ أنا...بالمناسبة هو الساعة كام دلوقت؟-أنا خلصت العقد التالت دلوقت باعمل اللي الناس بتعمله في السن ده، مش كده؟

- طبعاً

- و عارفة كمان، الحاجات اللي الواحد كان فاكرها سخيفة في شبابه، البوس والكلام ده كله، دلوقت بقت تعجبني.عجيبة الواحد بيتغير إزاي.

- أنا فرحانة لك يا أوسكار. بتكبر بسرعة.

- بس حاجة واحدة اللي لسة مش عارف أعملها، البوس لمّا اللسان بييجي في اللسان.بيجي بلو خايفة لحسن يكون ده هوه اللي بيجيب العيال.إنت إيه رأيك؟

- اتهيألي، عندها حق.

- بجد؟يعني البوس باللسان ممكن يجيب عيال؟معنى كده إنه أنا ممكن أخلف من الصينية.

- هدّي نفسك يا أوسكار، فرص الخلفة من الموضوع ده غالباً نادرة مش كبيرة.

شكل ماما الوردية وهي بتتكلم عن الموضوع ده كان متأكد وأنا إطّمنت شوية ، بس لازم أقول لك الصراحة يا ربّنا والسر ده بيني أنا وانت بس: أصل أنا مرة أو يمكن مرتين أو أكتر لساني جه على لسان بيجي بلو.

نمت شوية، وبعدين اتغدينا كلّنا مع بعض أنا وماما الوردية وبيجي بلو وحالتي اتحسنت.

- الواحد تعب النهاردة الصبح

- ده طبيعي.ما بين العشرين والخمسة وعشرين الواحد ما بينامش الليالي، سهر وحفلات وحياة ما بتهمدش وما بنقتصدش في الطاقة بتاعتنا. علشان كده بندفع تمن ده بعدين.إيه رأيك نقابل ربّنا يا أوسكار؟

- أخيراً لقيت عنوانه؟

- اتهيألي ممكن نلاقيه في الكنيسة

ماما الوردية لبستني زي ما يكون رايحين القطب الشمالي، خدتني في إيديها وودّتني الكنيسة اللي موجودة جوا الجنينة بتاعة المستشفى وسط البحيرات المتلجة، أنا باشرح لك إيه؟ المفروض إنك عارف طبعاً بيتك فين.

أكتر حاجة اندهشت منها كان التمثال بتاعك، مش التمثال نفسه...الحالة اللي انت فيها – عريان (تقريباً)، مسلوع ومرفوع على الصليب بتاعك، وجسمك مليان جروح ودم نازل على أورطك من تحت تاج الشوك وحتى راسك مش عارف تشيلها ونازلة على كتفك.ساعتها اتنرفزت وفكرت في نفسي وقلت إنه أنا لو ربّنا ،زيّك، ما كنتش خليت حد يعمل فيّ كده أبداً.

- ماما الوردية،يعني تقدري تحلفي لي إنه إنت المصارعة القديمة والبطلة الكبيرة بتؤمني بده؟

- بتقول كده ليه يا أوسكار؟يعني إيمانك بربنا كان هيزيد لو لقيته في شكل بطل كمال أجسام وعضلاته منفوخة وجسمه بيلمع من الزيت ولابس شورت وحالق شعره كابوريا ؟

- يعني إيه؟!

- فكّر يا أوسكار. إنت حاسس بنفسك قريّب من مين أكتر؟ من ربّنا اللي ما بيمرش بأي معاناة ولا ربّنا اللي بيآسي؟

- طبعاً ربّنا اللي بيآسي. بس لو انا كنت مكانه، لو أنا كنت ربّنا وعندي كل الإمكانيات بتاعته ما كنت بعدت عن المعاناة أحسن لي.

- ما حدش يقدر يبعد عن المعاناة . لا ربّنا ولا إنت ولا أهلك ولا أنا.

- طيب .و ليكن. بس ليه لازم نعاني؟

- بالظبط، ليه نعاني، هوه فيه معاناة أصلاً؟. بص على وشّه كويس. بص بتمعّن.إنت شايفه بيعاني؟

- لأ، فعلاً غريبة، شكله زي ما يكون مش بيتألم.

- شفت،لازم نفرّق ما بين العذاب الجسدي والعذاب الروحي.و لو بنحس بالألم الجسدي فالمعاناة الروحية إحنا اللي بنختارها.

- مش فاهم.

- لو دقّوا في رجلى أو في كفك مسامير فالحاجة الوحيدة اللي هتحس بيها هي الألم الجسدي، ومع كده فالتفكير في الموت مش لازم يخليك تحس بألم، لأنك مش عارف الموت عبارة عن إيه يبقى إحساس الألم ده كلّه متوقف عليك.

- طيب تعرفي إنت ناس فكرة الموت بتبسطهم؟

- أيوة أعرف، أمي كانت كده، وهي بتموت ابتسمت من الفرحة، كانت مستنيّة بفارغ الصبر وعاوزة تعرف الحاجة اللي لازم تحصل

ما كنتش عاوز أعارضها. كنت عاوز أسمع بقية كلامها فسكتت وفكرت في الكلام اللي قالته.

- بس الناس في الغالب مش فضوليين.بيمسكوا في الحاجة اللي معاهم زي البرغوت ما بيمسك في الودن اللي بيلاقيها. تعال ناخد على سبيل المثال بلوم بودينج، المصارعة اللي أنا حكيت لك عنها، اللي كانت 150 كيلو قبل الأكل.كانت دايماً تقول لي:"متأسفة، بس أنا مش هاموت أساساً، مش موافقة أموت وما اتفقتش على كده"..غلطانة، ماحدش اتفق معاها على انها هتعيش للأبد! بس هي كانت بتآوح ومؤمنة بالحياة الأبدية وبترفض أي فكرة عن الفناء، وكانت بتتنرفز على الآخر لمّا تسمع حاجة زي كده وتكتئب لحد ما خسّت وسابت المهنة ووزنها نزل ل35 كيلو وشكلها بقى عامل زي السمكة المسلوخة واتفككت حتت. شفت بقى، هي كمان طلعت بتموت زي الناس كلّها، بس فكرة الموت بوظت لها حياتها.

- بلوم بودينج كانت غبية يا ماما

- غبية جداً، بس الغباء منتشر يا أوسكار.

وهنا أنا هزّيت دماغي لأني كنت متفق معاها تماماً

- الناس بتخاف من الموت علشان جواهم خوف من المجهول. وإيه هو المجهول ده؟أنا باقترح عليك يا أوسكار تبدل المجهول ده بالإيمان.بص على وش ربّنا على الصليب:معاناته كلها جسدية، جسدية بس مش روحية لأنه مؤمن.و ساعتها المسامير اللي في رجله وفي إيديه مش هيبقى لها معنى، وهي دي ميزة الإيمان.هو ده اللي أنا عاوزة أشرحهولك.

- أوكي يا مدام، لمّا هاخاف من هنا ورايح هاحاول أخلـــي نفسي أؤمن.

باستني، وفي الآخر ابتدى يعجبني الجو في الكنيسة الفاضية معاك يا ربّنا: بس شكلك كان مسالم قوي.

لمّا رجعت نمت كتير، بقيت عاوز أنام أكتر وأكتـــر. بقـــى عندي حاجة للنوم، قلت لماما الوردية:

- في الحقيقة أنا مش خايف من المجهول، أنا خايف يضيع منّي اللي عرفته.
- أنا بالظبط زيّك يا أوسكار.إيه رأيك نعـــزم بيجـــي بلـــو تشرب معانا شاي؟

بيجي بلو شربت معانا الشاي، هي وماما الوردية انبســـطوا من بعض جداً، وضحكنا كتير لمّا ماما الوردية قعدت تحكي لنـــا عن مصارعتها مع التواءم جيكليت اللي كانوا بيلعبوا على انهـــم واحدة بس وبعد كل جولة واحدة من التواءم بعد ما تتعـــب اللـــي قدامها تسيب الحلبة كأنها رايحة تعمل بيبي وتستخبى في التواليت وأختها التانية تطلع تكمّل الماتش على الحلبة وهـــي لسّـــة فـــي الفورمة، وبعدكده أختهم التالتة وهكذا. وكل الناس كانوا فـــاكرين انها جيكليت واحدة، عمرها ما بتتعب.ماما الوردية عرفت المقلب ده وحبست أختين في التواليت وكسبت الأخت التالتة...المصارعة دي رياضة لئيمة فعلاً.

بعد كده ماما الوردية مشيت.الدادات دلوقت بقوا يراقبوني أنا وبيجي زي ما يكون مواد متفجرة.إيه القرف ده بس!هوه أنا مش عندي تلاتين سنة خلاص؟!بيجي بلو حلفت لي إنها هتجـــي لـــي الليلة دي، أول ما تقدر، وفي المقابل أنا حلفت لها إني المـــرة دي هنبوس من غير لسان.

في الواقع، الأطفال مش كل حاجة في الدنيا، الواحد برضـــه لازم يكون عنده وقت يربّيهم.

آدي الحكاية يا ربّنا، مش عارف أطلب مثلك إيه النهاردة لأن اليوم كان حلو قوي. آه عرفت!خلي العملية بتاعة بيجي بلو بكرة تنجح. مش زي بتاعتي،هه؟! طبعاً إنت فاهم وأنا فاهم.

إلى اللقاء بكره، قبلاتي

أوسكار

ملحوظة: العملية حاجة مش معنوية وممكن تكون مش فـــي إمكانياتك. في الحالة دي خلي بيجي بلو تتبسط وترضى بنتيجـــة العملية أياً كانت النتيجة. هاعتمد عليك في الموضوع ده.

النهاردة عملوا العملية لبيجي بلو. عشت أوحش عشر سنين في عمري. 30 سنة – سن صعب، سن المسئوليات والمتاعب.

الحقيقة، بيجي ما قدرتش تيجي لي بالليل علشان مدام ديوكريو الدادا النوباتجية قعدت عندها طول الليل في أوضتها تحضرها للتخدير، السرير بتاعها طلع العمليات الساعة 8 الصبح.قلبي اتقبض لمّا شفتهم واخدينها العمليات، قد إيه كانت صغيّرة ورفيعة، صعب الواحد يشوفها وهيّ تحت الملاية الخضرا.

ماما الوردية مسكت إيدي علشان ما اتوترش.

- ليه ربّنا بتاعك يا ماما بيخلق ناس زيّي وزي بيجي؟
- ده من حسن الحظ يا أوسكار، من غيركو الحياة ما كانش هيبقى لها طعم.
- لأ، حضرتك مش فاهماني. ليه ربّنا بيخلينا نعيا؟معنى كده إنه يا إما شرير يا إما ما بيقدرش على كل حاجة.
- أوسكار، العيا زيه زي الموت قدر مش عقاب.
- باين عليك إنك عمرك ما عييت
- إنت تعرف إيه عن العيا بتاعي يا أوسكار؟

استغربت لأني عمري ما فكّرت إن ماما الوردية اللي طول عمرها بتضحك وبتبتسم وبتاخد بالها من كل صغيرة وكبيرة عندها هي كمان مشاكل.

- ما تخبيش حاجة عنّي يا ماما ، قولي لي كل حاجـــة.أنا دلوقت بقى عندي على الأقل 32 سنة، عندي ســـرطان ومراتي في اللحظة دي في أوضة العمليات، وبافهم فـــي المشاكل دي.

- أنا باحبك يا أوسكار.

- و أنا كمان. لو عنـــدك مشـــاكل قـــولي لـــي أســـاعدك إزّاي؟تحبي أتبنّاك؟

- تتبنّاني؟

- أيوة، زيّ ما اتبنيت برنار لمّا لقيته بيتكتك.

- برنار؟

- أيوة الدب بتاعي.لقيته في الدولاب على الرف، برنار ده الدب القديم بتاعي، عينه راحت، وبقه ومناخيره وقعـــوا ونص نشارة الخشب اللي كانت جواه وقعت، وكلّه بقـــى كدمات وتعاوير.هو شبه حضرتك شوية. أنا اتبنيته لمّـــا أهلي العبط جابوا لي دب جديد. قال يعني أنا هاقبل دب جديد! اللي فاضل إنهم يبدلوني أنا كمان بأخ جديد! المهم إن أنا من اللحظة دي اتبنّيته. وكتبت له كل ممتلكاتي في الوصيّة بتاعتي.أنا عاوز أتبنّاك إنت كمان لو ده هيرفـــع من روحك المعنوية.

- أيوة ده فعلاً هيرفع من روحي المعنوية يا أوسكار.

- يبقى هاتي إيدك يا ماما يا وردية.

بعد كده رحنا أوضة بيجي بلو علشان نوضبها قبل ما ترجع، جبنا شوكولاتة وحطينا ورد.

دخلت نمت، حاجة تجنن ، الواحد بقى بينـــام كتيـــر قـــوي اليومين دول.

على آخر اليوم ماما الوردية صحّتني وقالت لي إن بيجي بلو رجعت الأوضة وإن العملية نجحت.

رحنا لبيجي مع بعض. وهناك قابلنا أهلها. مش عارف مين اللي قال لهم: بيجي ولا ماما الوردية بس شكلهم كـــان زي اللـــي عارفين أنا أطلع مين. واتعاملوا معايا باحترام وقعـــدوني علـــى كرسي وسطيهم وبقيت قاعد بآخد بالي من مراتي وســـط حمايـــا وحماتي.

انبسطت لمّا لقيت بيجي بلو زي ما هيّ زرقا، دخل الدكتور دوسلدورف ومسح حواجبه وقال إن كمان كام ســـاعة الزرقـــان هيروح.بصيت على أم بيجي لقيتها مش زرقا بس جميلـــة قـــوي فقلت لنفسي إن مراتي ممكن تبقى باللون اللي هي عـــاوزاه، أنـــا برضه هافضل أحبها.

بيجي فتّحت عينيها، وابتسمت لنا، ليّ ولأهلها ونامت تاني.

أهلها اطمّنوا، وكان لازم يمشوا.

- إحنا سايبين بنتنا أمانة فـــي رقبتـــك. – هـــو ده اللـــي قالوهولي– إحنا عارفين إنّك شخص ممكن الإعتماد عليه.

قعدت أنا وماما الوردية لحد ما بيجي فتحت عينهـــا للمـــرة التانية وبعد كده رحت أنام في أوضتي.

و أنا باخلّص الجواب أقدر أقول إن اليوم النهاردة كان يـــوم موفق. يوم عائلي. اتبنيت ماما الوردية، علاقتي الأسرية بحمـــاي

وحماتي علاقة كويسة، مراتي رجعت لي سليمة معافاة، بس لونها إوردّ على الساعة 11... مش مهم!

إلى اللقاء بكره، قبلاتي

أوسكار

ملحوظة : مش هاطلب منك حاجة النهاردة، خد لك راحة!

النهاردة انا عندي بين الأربعين والخمسين سنة، ومافيش حاجة باعملها إلا وتطلع حماقة جديدة.

هاحكيلك بسرعة، لأن الموضوع مش مستاهل حكايات طويلة.بيجي بلو حالتها اتحسنت، بس الصينية بإيعاز من الأستاذ فشار – اللي همه الاتنين دلوقت طبعاً ما بيقبلونيش – راحت لبيجي بلو وخبصت لها إن أنا بستها في شفايفها.

و بناءً عليه بيجي قالت لي إن اللي بينّا كله إنتهى.أنا اعترضت وقلت لها إن الصينية دي كانت مجرد طيش شباب، وإن ده كان قبل ما علاقتنا تبتدي وإنه ما ينفعش إنها تخليني أدفع حياتي كلها تمن للماضي اللي عشته.بس كل ده كان من غير فايدة. دول حتى إتصاحبوا هي والصينية علشان يغيظوني، وسمعتهم بوداني وهمه بيضحكوا بصوت عالي. وساعتها بقى أنا سمحت لبريجيت، وبريجيت دي كلبة عندها 3 اشهر بتروح للناس كلها وتلحسهم، وطبعاً ده طبيعي لأن الكلاب الصغيرة دايماً بتلحس الناس، سمحت لها النهاردة الصبح لمّا جت لي الأوضة تسلّم عليّ إنها تلحسني من رجلي لراسي.و يا سلام على السعادة اللي كانت فيها!زي ما تكون إتجننت من السعادة!زي ما يكون عملت لصاحبها احتفال حقيقي. المشكلة إنه في الوقت ده أينشتين كان في الطرقة.يمكن دماغه مليانة ميّة بس عينيه شغالة.شاف كل حاجة وحكى لبيجي والصينية.و دلوقت الدور كله مسميني الصايع الفاقد مع إن أنا ما باخرجش من الأوضة.

- أنا مش فاهم أنا عملت كده ليه مع بريجيت دي...

- الشيطان شاطر يا أوسكار، والرجالة عادة من سن الأربعين لسن الخمسين بيبقوا واثقين في نفسهم وبيحاولوا يعرفوا إذا كانوا هيعجبوا ستات تانية غير اللي هم بيحبوهم.
- طيب، نفترض إنه أنا طبيعي، بس اتهيألي ، أحمق برضه ، مش كده؟
- إنت شخص طبيعي جداً يا أوسكار.
- طيب أعمل إيه دلوقت؟
- إنت بتحب مين؟
- بيجي، بيجي وبس.
- قول لها الكلام ده. الجوازة الأولانية عادة بتبقى مش متماسكة قوي وممكن تتكسر في أي لحظة، بس لازم نتعب علشان نحافظ عليها طبعاً لو هي تستاهل ده.

بكره الكريسماس يا ربّنا، أنا ما كنتش أعرف إن ده يبقى عيد ميلادك.صالحني على بيجي لأني بقيت حزين بشكل فظيع وحالتي المعنوية في النازل وأنا مش عارف إذا كان السبب في ده راجع لخناقتي أنا وبيجي ولا إيه.

إلى اللقاء بكره، قبلاتي

أوسكار

ملحوظة: حيث بقى إن احنا بقينا أصحاب، قول لي تحب أجيب لك إيه في عيد ميلادك؟

الساعة 8 الصبح قلت لبيجي بلو إن أنا باحبها وما بـــاحبش ولا حبيت حد غيرها وماقدرش أتخيل حياتي من غيرها. عيّطـــت واعترفت لي إن أنا اتسببت في جرحها لأنها هي كمان ما بتحبش حد غيري، وبعدين ما كانتش هتلاقي حد بالذات دلوقت بعـــد مـــا لونها خلاص بقى وردي...بعد كده – وده المدهش في الموضوع – قعدنا إحنا الاتنين نعيط سوا، بس كنا في منتهى السعادة. قد إيه الحياة الزوجية دي جميلة!بالذات بعد الخمسين لمّا نكـــون عـــدّينا حاجات كتير مع بعض.

أول ما الساعة دقت عشرة افتكرت إن النهاردة عيد الميلاد، وإن أنا ما أقدرش أفضل مع بيجي علشان هيجـــي لهـــا دلوقـــت عيلتها، اخواتها واعمامها واولاد اعمامها واولاد خالاتهـــا، وأنـــا لازم أستحمل أهلي اللي ما اعرفش هيجيبوا لي إيه هدية؟بازل من 18000 قطعة ولا كتاب باللغة الكردية ولا صندوق جديد معـــاه طريقة الاستخدام؟ أو يمكن هيجيبوا لي بورتريه ليّ لمّا كنت لسّه بصحتي؟ الواحد ممكن يتوقع أي حماقة من اتنين زي دول مخهم زي العصافير، الواحد معاهم بيخاف من أي حاجـــة، والواضـــح حاجة واحدة: إن اليوم ده هيبقى يوم مقندل.

خدت القرار بسرعة:عملت لنفسي خطة هروب.صفقة تبادل بسيطة:اللعب لأينشتين، المرتبة الـــريش لبســـطرمة، البونبـــوني لفشار.و مع ملاحظة بعض نتايج المراقبة لقيت إن ماما الورديـــة وهي ماشية لازم تروح أوضة تغيير الملابس.و فيه برضه بعض الإفتراضات: اهلي مش هييجوا قبل الساعة 12.كل شيء مشـــي بسلاسة:الساعة 11:30 ماما الورديـــة باســـتني واتمنـــت لـــي كريسماس سعيد مع أهلي ونزلت تغيّر هدومها.أنا رحت مصفّر،

راح فشار وأينشتين وبسطرمة ملبسيّي بسرعة ونزلوني عند عربية ماما الوردية.العربية طلعت معمولة في العصر اللي قبل صناعة العربيات أصلاً، فشار اللي طلع عنده موهبة مذهلة في موضوع كسر الأقفال راجعة لحسن حظه علشان إتربّى في منطقة شعبية، فتح الباب الورّاني وعبّاني في العربية على الأرض بين الكرسي القداماني والكرسي الورّاني وبعدين رجعوا همه التلاتة مبنى المستشفى من غير ما حد ياخد باله.

بعد شوية، شوية كتير الحقيقة، ماما الوردية ركبت العربية.الموتور قعد يعطس ويكح حاجة بتاعة 15–20 مرة لحد ما العربية اشتغلت وفي الآخر ابتدينا الرحلة في العربية اللي ما يعلم بيها إلا ربّنا. جهاز ما قبل العربية ده كان معجزة، الصوت كان بيبقى عامل زي ما نكون ماشيين على 120 وفي الحقيقة إحنا على أقل من مهلنا والعربية قاعدة تتنطط وهي ماشية زي ما يكون الواحد راح سوق في الأرياف.

الفكرة إن ماما الوردية اتعلمت السواقة بمساعدة صاحبها اللي كان بيسوق عربيات في الأفلام علشان الخدع السينمائية: يعني الإشارات والرصيف والميادين وكل الحاجات دي ما كانش ليها معنى عندها ومن حين لآخر كانت بتطير في الهوا.أمّا في كابينة الطيار فالوضع ما كانش أهدى من برّه، كلكسات وشتايم من النوع التربوي اللي اثر بالإيجاب في ثقافتي اللغوية ، وأنا بيني وبين نفسي فكرت في إن المصارعة دي مدرسة ممتازة للحياة بحق وحقيقي.

كنت فاكر إني هاطلع لماما الوردية وأقولها :"أنا أهوه" لمّا نوصل بس سباق الحواجز اللي كنّا فيه طوّل وأنا نعست في السكة.على كل الأحوال صحيت في الضلمة والدنيا برد وساكتة ولمّا لقيتني نايم لوحدي على مشاية العربية المبلولة أول مرّة أفكر:"يمكن اللي عملته ده كان غلطة.

خرجت من العربية في الوقت اللي كان التلج بينزل فيه.لازم أعترف إن التلج ماكانش جميل في اللحظة دي زي فالس "عرايس التلج" في "كسارة البندق".اسناني كانت بتطقطق لوحدها. شفت بيت كبير منوّر، رحت ناحيته، حالتي كانت أوحش من إنّي أضرب الجرس فقعدت أنط علشان أبص من شباك الباب.

ماما الوردية لقيتني.

- إيه ده..إيه ده..، وحاولت تقول حاجة.

و بعدين وطّت عليّ ووشوشتني

- يا حبيبي

ساعتها فكرت، إنّي يمكن أكون فعلاً عملت حاجة غلط.خدتني الصالون اللي كان فيه شجرة كريسماس كبيرة بتنور، استغربت من المكان الجميل اللي عايشة فيه ماما الوردية، قعدت تدفيني قدام النار وشربت أنا وهي شوكولاتة سخنة.اتهيألي إنها كانت عاوزة تتأكد إن أنا بخير قبل ما تزعّق لي على اللي عملته، علشان كده حاولت على قد ما أقدر أطوّل الوقت اللي أنا باتدفا فيه، وعلى فكرة ماكانش الموضوع ده بإيدي قوي لأنّي كنت تعبت فعلاً.

- الناس كلها بتدور عليك في المستشفى يا أوسكار.أرض المعركة مليانة أحداث.أهلك مقهورين وبلّغوا البوليس.

- دي حاجة منتظرة منهم، طبعاً فاكرين إن أنا هاحبهم أكتر لو حطوا في إيدي كلبشات...

- إنت زعلان منهم في إيه؟

- لأنهم خايفين منّي.بيخافوا يتكلموا معايّ.و كل ما بيخافوا أكتر كل ما باحس إن أنا وحش مفترس، مش فاهم أنا

باعمل لهم إيه بس بيخوّفهم؟هوه أنا شكلي بقـــى فظيـــع للدرجة دي؟ريحتي وحشة مثلاً؟بقيت أهبل ومش حاسس بنفسي؟

– همه مش خايفين منّك يا أوســكار، دول خـــايفين مـــن المرض.

– المرض بتاعي ده جزء منّي.و مـــش المفـــروض إنهـــم يغيروا تصرفاتهم علشان المرض بتاعي.و لا يعني همه ما ينفعش يحبوني إلا وانا بصحّتي؟

– همه بيحبّوك يا أوسكار.همه قالوا لي كده.

– إنت اتكلمت معاهم؟

– أيوه. وهم غيرانين مني عليك. لأ، مش بيغيروا يعنـــي، زعلانين بس.زعلانين علشان مـــش قـــادرين يتفـــاهموا معاك زي ما احنا بتفاهم مع بعض.

هزيت اكتافي وهديت شويّة وماما الورديـــة عملـــت لـــي شوكولاتة كمان.

– عارف يا أوسكار.إنت هتموت في يوم من الأيام، بـــس همه كمان هيموتوا.

استغربت جداً من الكلام ، عمري ما فكّرت فيه.

– همّ كمان هيموتوا.لوحدهم، وضميرهم هيعذبهم إنهم مـــا عرفوش يتصالحوا مع إبنهم الوحيد اللي إسمه أوســكار اللي همه كانوا بيموتوا فيه.

– ما تقوليش كده يا ماما، إنت كده بتزعليني.

- فكّر فيهم يا أوسكار.إنت فهمت إنك هتموت قريب علشان إنت ولد نبيه جداً.بس إنت ما فهمتش إن إنت مش هتموت لوحدك، كلّنا حنموت، أهلك وأنا في يوم معلوم.

- أيوه، بس أنا اللي هامشي الأول.

- بالضبط، إنت هتمشي الأول.بس يا ترى كون إنك هتمشي الأول معناه إنك أحسن من الباقيين؟أو معناه إنك تنسى الباقيين مثلاً؟

آدي بقية الحكاية باختصار يا ربّنا علشان إيدي بقت بتتعب من الكتابة.ماما الوردية كلّمت المستشفى وهمه كلّموا أهلي وجم للبيت بتاع ماما الوردية واحتفلنا كلّنا سوا بالكريسماس مع بعض.

لمّا أهلي وصلوا قلت لهم:

- أنا آسف إني نسيت إن إنتوا كمان هتموتوا في يوم من الأيام.

يمكن الجملة دي فكّتهم شويّة، مش عارف، بس الحقيقة رجعوا زي ما كانوا في الأول، وقضّينا ليلة كريسماس جميلة جداً.

ومن باب التحالي ماما الوردية حبّت تتفرج على قدّاس الكريسماس وشريط مصارعة متسجّل على فيديو.قالت إنها بقى لها سنين طويلة بتتفرّج على ماتش مصارعة الأول قبل القدّاس علشان تقدر تقف على رجليها، العادة دي عندها من أمتع الحاجات اللي بتعملها.و النتيجة إن احنا اتفرّجنا على ماتش بين ميفيستو وجاندارك، واحدة بمايوه والتانية بقناع!نسوان حلوة! على رأي بابا – هوه اللي قال كده – ووشّه احمر قوي، الظاهر

علشان المصارعة عجبته.الضرب في الوش كان كتير جداً، اتهيألي لو أنا دخلت مصارعة زي دي كان زماني متّ من زمان.بس الظاهر إن المسألة مسألة تدريب زي ما قالت لي ماما الوردية.كل ما تاخد ضرب في وشك أكتر كل ما تتعود على الضرب.الواحد لازم يتمنى الأحسن.المهم جان دارك كسبت الماتش، مع إن الواحد كان فاكر إنها صعب تكسب:أكيد زمانك مبسوط من الأخبار دي.

وعلى فكرة، كل سنة وإنت طيب يا ربّنا.ماما الوردية اللي حطتني أنام في سرير إبنها الكبير (بيشتغل دكتور بيطري في الكنغو وبيعالج الأفيال) قالت لي إن أنا لمّا أصالح أهلي هتبقى هدية كويسة ليك في عيد ميلادك.الحقيقة أنا مش شايف إن ده يغني عن الهديّة بس طالما ماما الوردية صاحبتك من زمان يبقى هيّ عارفة.

إلى اللقاء بكره، قبلاتي

أوسكار

ملحوظة: نسيت أقولك أمنية النهارده:خلّي أهلي على طول يبقوا زي النهارده.و أنا كمان.الكريسماس ده كان هايل، بالذات الماتش بين ميفيستو وجان.حقك عليّ إن أنا ما اتفرجتش على القداس، قفلنا التلفزيون قبل ما ييجي.

تمّيت السنّين، وبادفع تمن الأخطاء اللـــي عملتهـــا امبـــارح بالليل.حالتي مش تمام، رجعت المستشفى بكل سرور.الظاهر إنه هي دي الشيخوخة، السفر والتنطيط ما بقاش ينفع ولا يبسط.و ما عنديش أي رغبة إني أخرج من هنا.اللي ما لحقتش أحكيلك عنـــه في جواب امبارح التمثال بتاع بيجي بلو اللي شفته في البيت بتاع ماما الوردية على الرف فوق السلّم.أحلف لك بإيه...هيّ الخـــالق الناطق ومعمولة من الجبس. اللبس والجلد واللون المزرق.مامـــا الوردية شايفة إن التمثال بتاع مريم العدرا، مامتك على قـــد مـــا فهمت اللي الناس بتصلي لها في البيت ده مـــن زمـــان.و مامـــا الوردية وافقت تديني التمثال ده هدية. حطيت التمثال عندي على الكومودينو في الركن.كده كده التمثال هيرجع لماما الوردية بمـــا إني اتبنيتها.حالة بيجي بلو اتحسنت.جت لي تزورني على كرسي بعجل. ما عرفتش نفسها في التمثال بس قضّينا وقت جميـــل مـــع بعض. سمعنا "كسارة البندق" وإحنا ماسكين إيدين بعض، فكرتني بأيام الشباب الجميلة بتاعة زمان.مش هاقدر أكمّل أكتر من كـــده علشان إيدي بقت بتوجعني.الناس هنا كلّهـــا بقـــت عيّانـــة حتـــى الدكتور دوسلدورف من الشوكولاتة والديك الرومـــي والمشـــمّر والمحمر والشمبانيا اللي أهلي جابوهم لكل اللـــي بيشـــتغلوا فـــي المستشفى. أنا نفسي قوي إنك تزورني بقى.

إلى اللقاء بكره، قبلاتي

أوسكار

النهاردة عندي بين السبعين والتمانين، وفيه حاجات كتيرة ابتديت أراجع نفسي فيها.أولاً أنا استعملت هدية الكريسماس اللي اديتهاني ماما الوردية.مش عارف إذا كنت قلت لك ولا لأ؟ نبات من السكر بعيش حياته كلّها في يوم واحد، تحط البذرة وتسقيها ميه وهي على طول تطرح سيقان وأفرع وورق وبعدين زهرة وفي الوقت نفسه بذرة جديدة وبعدين يرجع يكرمش وعلى آخر اليوم هوب...حياته تنتهي. هدية عبقرية، شكراً لأنك خلقت النبات ده.النهارده الصبح سقيناه أنا وماما الوردية وأهلي – مش فاكر إذا كنت قلت لك ولا لأ بس أهلي دلوقت عايشين عند ماما الوردية علشان من عندها للمستشفى أقرب – وقدرت أتفرج على حياة النبات ده كلها من الأول للآخر.صحيح النبات صغير والوردة ما تتشافش، ما تتقارنش يعني مع أي وردة كبيرة بس بتعمل كل حاجة واحنا شايفينها، في يوم واحد من غير ما تقف.زي النباتات الكبيرة.

أنا وبيجي بلو قعدنا النهارده نقرا كتير في قاموس المصطلحات الطبية ، ده الكتاب المفضّل عندها.أصلها مهتمة بالأمراض ودايماً بتسأل نفسها سؤال:ياترى هتقابل في حياتها أمراض إيه تاني في المستقبل؟ عن نفسي قعدت أدوّر على الكلمات اللي تهمني:"الحياة" ، "الموت" ، "الإيمان" ، "ربّنا". مش هتصدقني لو قلت لك إن كل الكلمات دي ما لقيناهاش في القاموس! وطبعاً ده معناه إن لا الحياة ولا الموت ولا الإيمان ولا إنت أمراض.خبر كويس بالتأكيد.بس مش واجب برضه إن في كتاب جد زي ده كان يبقى فيه إجابة عن الأسئلة اللي بجد زيّ دي؟

- ماما الوردية، متهيألي إن القاموس الطبي ده فيه الحالات الشخصية اللي بتقابل كل واحد لوحده بس مـــا فيهـــوش الحاجات اللي بتهم الناس كلها مع بعض.

- أظن أحسن الواحد يدوّر على الحاجات دي في قـــاموس فلسفي، يا أوسكار بس حتى هناك لو لقيت المفاهيم اللـــي بتدور عليها دي هتتخيب ظنك وهتلاقي تفسيرات كتيـــرة وأجوبة مالهاش عدد.

- إزاي ده؟

- أهم الأسئلة هتفضل برضه أسئلة، أسئلة مليانة غموض.و كل إجابة هتلاقي فيها كلمة "يمكن" . أسئلة قليلة جداً اللي ليها إجابات محددة.

- يعني عاوزة تقولي لي إن "الحياة" مالهاش حل؟

- لأ، عاوزة أقول إن الحياة ليها حلول كتيرة، ما لهاش حل واحد بس.

- بس أنا متهيألي إن الحل الوحيد للحياة هو إنك تعيش.

دخل علينا الدكتور دوسلدورف.و شكله زي مـــا هـــوه زي الكلب المضروب، لمّا تحط على ده حواجبه التخينة تلاقي قـــدامك شكل معبّر جداً. سألته:

- هوه إنت بتسرّح حواجبك يا دكتور دوسلدورف؟

بص باستغراب زي ما يكون السؤال كان لماما الورديـــة أو لأهلي أو زي ما يكون ما سمعش السؤال.خلص الموضوع إنـــه جاوب:"أيوة" وصوته مخنوق.

– غيّر تعبير وشّك يا دكتور. اسمع: أنا هاقول الصراحة... لأني طول عمري كنت مطيع في موضوع العلاج، وحضرتك كنت ملتزم جداً في علاقتك بالمرض...سيبك بقى من نبرة الذنب اللي في صوتك دي...مش ذنبك إنك أحياناً بتضطر تقول للناس أخبار وحشة عن المرض بتاعهم بطلاسم باللاتيني وتفسيرات معقدة...هدي نفسك وشيل المسئولية من على وشّك... إنت مش ربّنا...مش إنت اللي بتنظم الكون...إنت بس بتصلّح...شيل الهم من على كتفك وبطل التوتر اللي إنت فيه ده، وما تحملش نفسك أكتر من طاقتها، يا إما مش هتعمّر كتير في المكان بتاعك.بص لروحك يا دكتور.

دكتور دوسلدورف فتح بقه وهو سامعني لدرجة إن كان ممكن تدخل فيه بيضة بحالها.و بعدين ضحك ضحكة بجد وباسني.

– عندك حق يا أوسكار.شكراً إنك قلت لي كده.

– ولا يهمك يا دكتور.أي خدمة.ابقى تعال لو احتجت حاجة تاني.

آدي حكاية النهاردة يا ربّنا. ولسة مستني زيارتك. تعال بقى. ما تقلقش! تعال حتى لو عندي ناس في الوقت ده، أنا بجد هانبسط قوي.

إلى اللقاء بكره، قبلاتي

أوسكار

عزيزي ربّنا

بيجي بلو سابت المستشفى. روّحت بيتها، لأهلها. أنـــا مـــش عبيط، وعارف إني مش هاشوفها تاني أبداً.مش هاكتـــب تـــاني، علشان أنا زعلان قوي. إحنا عشنا سوا عمر بحاله أنا وبيجـــي، دلوقت بقيت لوحدي خالص، أقرع ومخي بيخرف وعيّان ومرمي في سريري.قد إيه الشيخوخة دي فظيعة.

النهارده أنا مابقيتش باحبك.

أوسكار

عزيزي ربّنا

أنا متشكر إنك زرتني.

إنت اخترت اللحظة المناسبة، اللحظة اللي كانت فيها كل حاجة في حياتي ماشية غلط.إوع تكون زعلت من جواب امبارح...

لمّا صحيت افتكرت إن أنا بقى عندي 90 سنة ولفيت دماغي ناحية الشبّاك أبص على التلج.و لمّا خمّنت إنك جيت، الصبح طلع، كنت لوحدي على كوكب الأرض.الدنيا كانت بدري لدرجة إن حتى الطيور كانت لسّة نايمة والممرضة النوباتجية مدام ديوكريو كانت بتشخّر.

شفتك وانت بتحاول تعمل الشروق وكان صعب عليك بس إنت أصرّيت فالسما وشها راح مخطوف ورحت انت نافخ في الهوا اللون الأبيض والرمادي والأزرق لحد ما زحزحت الليل ورجعت الحياة للدنيا من غير ما تقف لدقيقة واحدة.ساعتها بس فهمت الفرق بينك وبيننا: إنت واحد عمره ما بيزهق!عمره ما بيتعب.دايماً قاعد بتشتغل!خدوا عندكو آدي الصبح!آدي الليل!دلوقت هيبقى ربيع!و دلوقت شتا! وآدي بيجي بلو!و آدي أوسكار!و ماما الوردية!ياااااااااه.

أنا حسيت بيك هنا وفهمت إنك هنا.إنت فتحت لي سرّك:بُص دايماً على العالم زي ما تكون بتشوفه لأول مرّة.لمّا اتبعت نصيحتك دي وحاولت أمشي عليها وعيت لأول مرة على النور والألوان والطيور والحيوانات.حسيت بالهوا اللي باتنفسه وهوّ بيملا مناخيري.سمعت الأصوات اللي في الطرقة وكأنها أصوات جايّة من تحت قبّة كاتدرائية.حسيت إن أنا عايش. واترعشت من

الفرحة الحقيقية.فرحة الحياة ، اترعشت من سعادة الوجود.كنـــت طاير من السعادة.

شكراً يا ربّنا إنك عملت كل ده علشاني. حسيت إنك خـــدتني من إيدي وبتتمشى بي في قلب سر الوجود علشان أفهـــم معنـــاه. متشكر.

إلى اللقاء بكره، قبلاتي

أوسكار

ملحوظة: أمنيتي: يا ترى تقدر تعمل نفس الحكايـــة دي (إن الواحد يشوف زي أول مرّة) لأهلي؟ماما الوردية اتهيألي عارفـــة الموضوع ده.و كمان نفسي لو تعمله لبيجي بلو لو كـــان عنـــدك وقت.

عزيزي ربّنا

تميت ال100 . بانام كتير وصحتي تعبت.

حاولت أشرح لأهلي إن الحياة دي هديـــة غريبـــة.في الأول بنتغر فيها: بنبقى فاكرين إن الهدية دي هتفضل معانا ونستخدمها للأبد.و بعد كده ما بنحسش بقيمتها: لمّا بنفتكر إنّها قصيرة ومـــش كاملة حتى لدرجة إن احنا بنبقى عاوزين نتخلص منهـــا. وفـــي الآخر بنعرف إنها في الواقع ما كانتش هدية ، ده كـــان ديـــن.و ساعتها بنحاول نعمل اللي نقدر عليه علشان نـــرد الـــدين ده.أنـــا عندي 100 سنة وعارف أنا باتكلم عن إيه.كل لمّا بتكبر كل مـــا ذوقك بيبقى أحسن علشان تقدّر الحياة.لازم تبقى فنّـــان وحسّـــك راقي، أي عيّل ممكن يستمتع بالحياة وهوه عنده 10 ولاّ 20 سنة إنّما الواحد لمّا يبقى عنده 100 سنة ومـــش قـــادر يتحـــرك مـــا بيفضلش حاجة غير العقل اللي الواحد يقدر يستخدمه.مش عارف إذا كنت قدرت أقنعهم ولاّ لأ.

زورهم يا رب! انا دوري انتهى وتعبت حبتين.

إلى اللقاء بكره، قبلاتي

أوسكار

عزيزي ربّنا

110 سنة. كتير قوي. اتهيألي أنا ابتديت أموت.

أوسكار

عزيزي ربّنا

رحل الطفل.

الآن سوف أظل سيدةً وردية ولكنني لن أعود أبداً أمّاً وردية كما كنت أمّاً لأوسكار وحده.

إنطفأ أوسكار صباح اليوم في نصف ساعة، إنطفأ حينما تركناه أنا ووالداه لنحتسي القهوة.فعلها وحده دوننا.أعتقد أنه اختار تلك اللحظة بعينها حتى لا يؤلمنا.و كأنه كان يخاف علينا من ألم لحظة الرحيل.في الواقع كان هو الذي يقوم برعايتنا لا نحن الذين نقوم برعايته.

قلبي يعتصره الألم، وروحي ترزح تحت العذاب.هناك يحيا أوسكار ولا أستطيع نسيانه.لعلي أستطيع مقاومة الدموع حتى المساء، فلا أريد أن أقارن فجيعتي بفجيعة والديه، وأن أقارن ألمي بكارثتهم.

أشكرك لمقابلتي بأوسكار. بفضله أصبحت خفيفة الظل، واخترعت قصصاً وحكايات لم تحدث بل وأضحيت خبيرة بالمصارعة. لقد ساعدني أوسكار في أن أؤمن بك. إنني أمتلئ

حبّاً، حب يكاد يحرقني، لقد أعطاني أوسكار الكثير ممّـــا ســـيظل لأعوامٍ كثيرة آتية.

إلي اللقاء قريباً،

ماما الوردية

ملحوظة: في الأيام الثلاثة الأخيرة قام أوسكار بتعليق لافتـــة فوق مكتبه. أعتقد ان كلماتها تخصّك.

ما فيش غير ربّنا بس اللي له الحق يصحيني

النهـــــــاية

2002

الترجمة من الفرنسية إلى الروسية: **إيرينا جريجوريفنا مياخكوفا**

Irina Grigorievna Myagkova

117463 Moscow

Paustovskogo st. 8-3-470

095 422 10 09

imiagkova@mail.ru

حقوق الطبع في فرنسا مملوكة لوكالة

“Drama” Suzanne Sarquier

24, rue Feydeau 75002 PARIS, France

Tel.: 1-40-26-70-07

Fax; 1-45-08-42 07

منسق شئون أوروبا الشرقية:***Elisabeth Semon***

e-mail: e.semon@dramaparis.com

الترجمة من الروسية إلي العاميّة المصرية: محمد صالح

mohammedlovespiano@yahoo.com